علي القيّم

إضاءات من الذاكرة القديمة

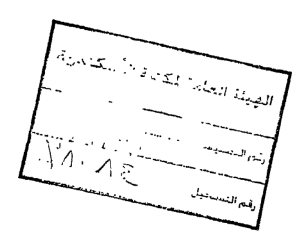


الإشراف الفني : زهير الحمو

"إضاءات"

من الذاكرة القديمة

علي القيّم



«إضاءات»

من الذاكرة القديمة

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق
١٩٨٦

اضاءات من الذاكرة القديمة : دراسات تاريخية
وأثرية / علي القيم .- ط.١ .- دمشق : وزارة الثقافة ،
١٩٨٦ .- ١٨١ص : صور ؛ ٢٥سم .

١- ٩٣٣ ق ي م ا ٢- العنوان ٣- القيم

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٨٢١ / ٩ / ١٩٨٦

إهداء

إلى من علمتنا كيف نعشق الكلمة ، ونتمثلها في عملنا اليومي ...

إلى من يرتكز مفهومها على استلهام روح العصر في عملية التواصل بين تراثنا وحاضرنا، وكانت السباقة دائمًا برفد نهر الثقافة بكل ما هو مبدع وأصيل ...

إلى المشجعة على بعث تراث الأجداد ، واستخراج آثارهم من باطن الأرض إلى النور ...

إلى وزيرة الثقافة ، السيدة الدكتورة نجاح العطار .

علي القيّم

المقـــدّمــة

تشكل الآثار التي عثر عليها في القطر العربي السوري ، على مدى سنوات عديدة من الجهد المتواصل ، والعمل المضني المستمر ، كنوزا حقيقية ، ساعدت علماء التاريخ والآثار ، على معرفة اصول التراث الانساني ، هـذا التراث العربي السوري ، الذي يعود تاريخه الى زمن موغل وسحيق في القدم . واثبت بما لا يقبل الشك ، مكانة سورية الحضارية ، وتميزها بكثير من المعالم والمعطيات الفريدة ، مما غيّر وجهات نظر كثير من العلماء الذين كانوا ينظرون الى هـذه الارض الفنية ، ذات الموقـع الحضاري الهام ، على انهـا متلقية للحضـارة وليست فاعلة او صانعة لها .

فاذا هي عكس ذلـك ، لهـا هويتها ، وخصوصيتها ومميزاتها وعناصرها التي تثبت بانها لا تقل باي حال مـن الاحوال عن حضارة وادي النيل وبلاد الرافدين ، اذا لم تقل انها تفوقت عليها في كثير مـن الجوانب والعطاءات الخلاقة المتطورة .

ولا نذيع سرا ، اذا قلنا بان نصف علماء الآثار المرموقين في العالم يعملون سنويا جنبا الى جنب مع زملائهم علماء الآثار العرب السوريين ، للكشف عن آثار ومخلفات الاجداد في موطن الثلاثة آلاف موقع ...

وكان هناك دعوة ملحة،للعودة الى التراث المتمثل في الآثار والاوابدالتاريخية الكثيرة،فليس مثل الرجوع الى التراث العلمي نتفهمه ونحييه ، كاشفا لنا عن شخصيتنا الحضارية ، ففي دراسة احياء هذا التراث ما ينبهنا الى حقيقة تاريخية ثابتة، هي ان العرب امة علمية قبل ان يكونوا امة شاعرة ، وان

نتاجهم العقلي يفوق كثيرا نتاجهم الادبي ، وليس كوعينا هذه الحقيقة ، ما يكون حافزا لنا على تعجل نهضتنا العلمية ، ومعززا لثقتنا بانفسنا في سباق الحضارة القائم على منجزات العلم والتقدم .

لقد ازاحت معاول التنقيب الاثري ، التراب عن مواقع ومدن وممالك كثيرة ، كانت الى حين في غياهب النسيان ، لا يعرف عنها شيئا ، واسفرت هذه المواقع عن مكتشفات اثرية عظيمة الاهمية، لفتت اليها انظار العالم، اعجابا ودهشة وتقديرا ، فكتب عنها الكثير الكثير ، بلغات عالمية شتى ، واصبح هناك مجلات ودوريات وحوليات عالمية متخصصة ، بالآثار والمكتشفات العربية السورية ، مثل « اوغاريتيكا » و « سيريا » وحوليات ايبلا ، ودراسات ايبلائية ، وغيرها ، ولا تخلو سنة من السنوات ، من اعداد خاصة تصدرها المجلات المتخصصة مثل « هيستوريا » و « اركيولوجيا » وتاريخ وآثار واطلس ، « ولوي » ، عن الآثار السورية ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اننا في التراث الانساني حملة مشاعل ، واصحاب فضل ، ودور كبير .... وآثارنا تدل علينا ...

هذه الدراسات ، محصلة جهد طويل ، وبحث مستمر ، ودراسة دؤوبة جادة ، في نتائج المكتشفات الاثرية العربية السورية ، من مخلفات حضارية ، وبقايا اوابد معمارية ، وترجمات رقم مسمارية مكتوبة على لوحات طينية ، وقد اخترت منها ما هو طريف ومفيد وممتع ومختصر ، وحرصت اشد الحرص على ان تكون سهلة التناول ، بعيدة عن المصطلحات العلمية المعقدة ، وصغتها باسلوب بسيط ، يفهمه المتخصص والدارس والقارىء العادي الباحث عن المتعة والفائدة، في آن معا، وكل ما ارجوه ان اكون قد وفقت.

المؤلف

التاريخ ومقولة «العلم الذي لا ينفع»

أن تكتب التاريخ فمعنى ذلـك أنك تسجل التجربة الانسانية ، بكل أبعادها ومضامينها الانسانية وهذه التجربة لا زالت سائرة متصلة الحلقات ، والتاريخ على هذا يشمل الماضي والحاضر والمستقبل معا ، ونحن عندما ندرس الماضي مـن خلال ما كتبه التاريخ ، فاننا في نفس الوقت ندرس الحاضر والمستقبل ...

واذا اعتبرنا الحياة طريقا يقطعه الانسان ، فلا شك أن معرفتنا بما قطعناه من الطريق يعيننا على قطع ما بقي منه ..

هذا الطريق الذي سار فيه الانسان منذ عصور البداوة والتوحش الى عصور الكتابة وما تلا ذلك من عصور ، هو الذي يسمى بالتاريـخ السياسي والحضاري .

فأما السياسي فهو جانب الصراع الذي خاضه ويخوضه الانسان لتأمين نفسه ومجتمعه من العدوان الخارجي ثم تنظيم هذا المجتمع على نحو يوفر له أكبر جانب من الامان والرخاء وأما الحضاري فهو صراعه للارتقاء بنفسه وبمستواه المعاشي من الناحيتين المادية والمعنوية ومـن الواضح ان الجانبين السياسي والحضاري متلازمان ، ولا يمكن دراسة واحد منهما دون دراسة الآخر ...

سقت هذه المقدمة ، لاقول ، من هذا المنظور يجب دراسة وتحليل تاريخ سورية العربية ، التي هي ضرورة ملحة لسورية ، والوطن العربي، وللعالـم أجمـع ...

هـي ضرورة ملحة لسورية ، لانهـا عريقة بحضارتها ومجتمعها وموروثاتها الثقافيـة والفنية .

وتاريخ سورية يشكل المنطلق الاساسي لفهـم التاريخ المصيري الواحد ، للوطن العربي ودراسة تاريخ سورية ، في المحصلة دراسـة لتاريخ الانسانية ويكفي أن نذكر بقول الدكتور فيليب حتي : ان تاريخ سورية ، بمفهومه الجغرافي ، هو من جهة معينة ، تاريخ العالم بصورة مصغرة[1] وعلى ذلك فان أي انسان عربي متمدن ، يمكن أن يدعي الانتساب الى بلدين : بلده ، وسورية[2] .

جمعتني جلسة مع عدد من الطلبة ، من كليات مختلفـة ، وكان محور سؤالهم : لماذا تدرسون التاريخ ؟ انه علم لا ينفـع اذ يشغل الانسان بأخبار الماضي الذي لا حاجة لنا به ، وما أدراكم ان كـانت الاحداث والاخبار التي تتحدثون عنها صحيحة أم غير صحيحة ، وكان رأيهم أن دراسة التاريخ دراسة عقيمة ، لا يتحقق من ورائها نفـع واضح ، الا اذا كا نالغرض من دراسته الاشتغال فيما بعد بتدريسه في المدارس او التخصص فيه في الجامعات وحتى هذه الغاية ، أصبحت لا فائدة مرجية منها ، لان وزارة التربية لا تجري مسابقة لهؤلاء الا كل خمس أو سبع سنوات ، وقسم التاريخ الوحيد في جامعات القطر يشكو تضخما بعدد مدرسيه ...

ووجدت نفسي في موقع الدفاع عن العلم الذي درسته ، واشتغل به ، ولان الكثير من الناس لا يزال ينظر الى الذين يعملون في حقل التاريخ والآثـار كمن « ينبش ثم ينبش » أو بمعنى آخـر « حفار قبـور » !؟

يقول المؤرخ الانكليزي « ارثر مارفيك » في كتابه « طبيعة التاريخ — ص ١٤ » : « ان التبرير الاساسي للدراسة التاريخية وأهميتها ، هي انها ضرورية ، فهي تسد حاجة غريزية انسانية ، تفي بحاجة أصيلة ، من حاجات البشر الذين يعيشون في المجتمع وضرورة التاريخ لها وجهان فالتاريخ يقوم للانسان والجماعة البشرية بوظيفة فعلية بمعنى أنه يسد حاجة المجتمع ، الى معرفة نفسه ، ورغبتهفي أن يفهم علاقته بالماضي ، وعلاقته بالمجتمعات الاخرى وثقافتها »[٣] . والتاريخ دليل عملي للسير في مجاهل التجربة الانسانية ، فهو استمرار واكمال لنظرية القائلين بأن التاريخ مدرسة للبشر ، يقول المؤرخ « سترايز » : دراسة التاريخ تعين الانسان على مواجهة المواقف الجديدة ، لا لانها تقدم له أساسا للتنبؤ بما سيكون ولكن لان الفهم الكامل للسلوك الانساني في الماضي يتيح الفرصة للعثور على عناصر مشتركة بين مشاكل الحاضر والمستقبل مما يجعل حلها حلا ذكيا أمرا ممكنا وليس معنى هذا أن دراسة التاريخ الحديث وحده هي التي تعود على الانسان بالفائدة بالنسبة للحضور والمستقبل ، لان التاريخ كله مادة واحدة ، ودراسة قديمة لا تقل فائدة عن دراسة حديثة ، فكلها جوانب من التجربة الانسانية المتعددة الصور » .

وحول هذا الموضوع ، قال المؤرخ الكبير ستيوارت هيوز : « ان التاريخ كان يعد نفسه دائما علما شاملا وعلما وسيطا »[٤] وقد كان التاريخ في الماضي يربط الشعر بالفلسفة ، وهو اليوم يربط الادب بعلم الاجتماع ، وربما يكون المؤرخون قد أغضبوا غيرهم أحيانا بالمبالغة في الدور التحليلي الذي يقوم به علمهم ، ولكن سواء استطاع التاريخ

أن يقوم بدوره كوسيط أم لم يستطع ، فان التاريخ لا يستطيع أن يتخلص من دوره كعلم وسيط ، وما دام لكل شيء تاريخه فان التاريخ كعلم يشمل كل شيء •

وفي فهم تاريخنا وحضارتنا ، وفي طريقة تعاملنا معهما ، نعطي اضافة جديدة ، كل يوم ، وسورية العربية تعوم على بحر من الحضارات القديمة والوسيطة والحديثة ومليون سنة ، على الاقل ، كما أثبتت المكتشفات الاثرية الحديثة ، مرت على وجود الانسان في شمالي ساحلنا السوري وبالتحديد السرير الاعلى لنهر الكبير الشمالي ، كما وجد هذا الانسان القديم في اللطامنة وحوض العاصي ، وكهوف جبال القلمون وتدمر ، والبادية السورية وحوض الفرات •

وأثبتت المكتشفات الاثرية المتلاحقة ، عظمة التاريخ والحضارة ، ومكانة سورية العظيمة في جميع مراحل التاريخ ، وانها المعين الاول لبناء حضارات الغرب ، ووسيط يصل بين مختلف حضارات الشرق القديم وأوربا ، وفي كل موقع وأثر وآبدة في سورية ، أدلة واضحة على ذلك على تاريخ أمعن في القدم ، فكأننا ـ كما قالت الدكتورة نجاح العطار في افتتاح ندوة تاريخ وآثار دير الزور ومتحف أفاميا ـ : « نطأ حضارة في كل خطوة ، ونصافح مجد حضارة في كل حفرة »(٥) وأن نستعيد التاريخ ، يعني أن نستحضر ، ونستنطق ، هذا الشيخ الجليل ، حامل كتاب الماضي ، بكل ما فيه من وقائع وعبر ودروس •

ونحن في سورية ، على حوار دائم مع هذا الشيخ التاريخي ، نوقظه من سبات الابدية ونخرجه من بطون الكتب ، ونطلب منه أن

يفضي الينا بأسرار أجيال خلت ، ومدن درست ، وأقوام كان لهم ، ذات يوم غابر قلاع وخانات وشواهد تنطوي عليها أرضنا ...

ذلك ، أننا نسائل هذه الارض ، ولا نكف ندق على أديمها نوقظها، نسبر أغوارها ، ندرس طبقاتها ، ونخرج الى النور ما كان مطمورا في الظلمة خلال مئات ومئات من الاعوام ...

ولان الارض العربية السورية ملآنة بالاسرار ، ملآنة بالادلة المادية على ذلك الازدهار الحضاري الذي عرفته على مر العصور ، فان مساءلتنا لها تتكاثر وأجوبتها لنا تتكاثر ، ويكاد حوارنا يتصل ، ويكاد التاريخ بما عرف عنه من رحابة صدر ، وسداد منطق وأن يتفرع لنا ، ويبسط صحائفه أمامنا كل يوم[٦] .

وبعد هذه الادلة والبراهين والاقوال ، هل لا يزال البعض ينظر الى التاريخ من منظار « العلم الذي لا ينفع » ؟! .

هوامش :

١ ـ د. فيليب حتي ، تاريخ سورية ، مطلع مقدمة الطبعة الاولى .

٢ ـ د. فيليب حتي ، تاريخ سوريـة ، ص ٣ .

٣ ـ Arther marvic, The nature of history

٤ ـ H. Stewart Hughes, The Historian and the Social scientist in American Historical, Revieœ, LXVI (1960) P. 46.

٥ ـ د. نجاح العطار ، كلمات ملونة ، دمشق ١٩٨٦ ـ ص ٢٨٠ .

٦ ـ د. نجاح العطار ، كلمات ملونة ، دمشق ١٩٨٦ ـ ص ٤١٥ .

آثار ما قبل التاريخ السوري

من الثابت ، جيولوجيا ، انه قـد ساد في قطرنا العربي السوري خلال الحقب الجيولوجي الرابع (الحقب الذي ظهر فيه الانسان) مناخ مناسب ، وثروة حيوانية ونباتية هامة جذبت الانسان القديم ، وأمنت له شروط بقائه وتطوره ..

وقد أثبتت الاعمال الأثرية التي تمت مؤخرا في العديد من مواقع ما قبل التاريخ المنتشرة في أنحاء القطر ، ان انساننا القديم قد ترك شواهده الفنية وأدواته الهامة في كل مناطق القطر الجغرافية ، وخاصة في أحواض الأنهار السورية الكبرى وفي البادية ..

لقد خلف لنا انسان سورية القديم نماذج حضارية متكاملة تغطي كل مراحل العصور الحجرية بلا انقطاع ..

وبذلك يكون قد أصبح لدينا امكانية تتبع مختلف حلقات حضارة انسان ما قبل التاريخ منذ نشوئها المبكر ..

وبالفعل فالدلائل الأثرية تشير أن التطور الحضاري في قطرنا قد استمر دون انقطاع منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي ..

فآثار ما قبل التاريخ ظهرت في مواقـع عديدة أمثال : جرابلس (كركميش) ، تل أحمر ، تل عطشانة (آلالاخ) ، تل براك ، تل حلف ، رأس العين ، حماه ، أوغاريت ، تل سوكاس ، تل المريبط ، تل بقرص ، تل الرماد ، صيدنايا ، درعا ، جرف العجلة ، يبرود ، اللطامنة ، ترسوس ، تل الكوم ، الغرماشي ، ست مرخو وغيرها كثير ..

وكان من نتاج هذه الأعمال الأثرية أن نشرت الابحاث العديدة في كبريات المجلات العالمية المتخصصة ، تشيد بآثار ما قبل التاريخ في قطرنا، وتثبت امكانية تتبع تطور حضارة الانسان ، من خلال الآثار المكتشفة ، بشكل دقيق لا يتوفر في أي مكان في العالم •

لقد كانت هذه الاكتشافات مثار اهتمام علماء ما قبل التاريخ في كل أنحاء العالم ، وخاصة مؤتمر ما قبل التاريخ الذي عقد في فرنسا عام ١٩٨٠[1] ، فقد كان ما قبل التاريخ السوري في جلسات المؤتمر ، المادة الرئيسية للطرح والنقاش الذي أكد أن سورية تقدم نموذجا حضاريا متكاملا واستثنائيا ، تقاس عليه أقطار المنطقة ، وانه أصبح من الصعب فهم ما قبل التاريخ في منطقة الشرق الأوسط والعالم دون الانطلاق من سورية ••

ولا غرابة في ذلك فالأعمال الأثرية التي تمت في السنوات الأخيرة من قبل بعثة أثرية فرنسية ، بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف، في حوض النهر الكبير الشمالي (السرير الأعلى للنهر) قرب قرية « ست مرخو » منطقة اللاذقية ، أثبتت أن تاريخ وجود الانسان واستقراره يعود الى مليون سنة خلت ، كما اكتشفت في هذا الموقع أكمل تشكيلة أثرية وجيولوجية بدءا من مليون سنة حتى خمسين ألف سنة ، وجدت أدوات حجرية « صوانية » تمثل كل مراحل ما قبل التاريخ مترافقة مع التشكيلات الجيولوجية المتوازية • ويماثل هذا الموقع « موقع خطاب » بحوض العاصي الأوسط ، وهما يضمان أقدم آثار لإنسان ما قبل التاريخ في العالم خارج أفريقيا •

ويقسم الدكتور سلطان محيسن ، في دراسة غير منشورة[٢] تشكيلات ما قبل التاريخ السوري في السرير الأعلى لنهر الكبير الشمالي على الشكل التالي :

١ ـ تشكيلة « ست مرخو » أقدم تشكيلة جيولوجية أثرية يعود تاريخها لحوالي مليون سنة ، وقد اعتمدت أثريا من خلال اكتشاف بئر عميق ، وجدت فيه أدوات صوانية فريدة من نوعها في العالم .

٢ ـ تشكيلة العهد المطري الأخير (١٠٠ ألف سنة) وتضم :

ـ تشكيلة منطقة الشير ، وجدت فيها أدوات صوانية من العهد الحجري القديم والأوسط (الآشولي الأخير) .

ـ تشكيلة منطقة الجريمقية : وجدت فيها أدوات صوانية تعود الى العصر الحجري الأعلى (٤٠ ألف سنة) .

ـ تشكيلة منطقة بكسا ، وجبل أدريس ، وجد فيها تشكيلة بحرية تعود الى حوالي (٧٠٠ ألف عام) .

● الأعمال الأثرية « لفان لير » و « ديز موند كلارك » كشفت أن موقع « اللطامنة » الواقع على مسافة أربعين كيلو مترا شمالي مدينة حماه (المجرى الأوسط لنهر العاصي) يشكل أحد معسكرات الصيادين الهامة في الهواء الطلق ، وقد بقي على حالته التي ترك عليها منذ نصف مليون عام تقريبا ، وهو واحد من أربعة مواقع بقيت سليمة من ذلك الدور (دور البليستوسين الأوسط) في العالم .

كما عثر في هذا الموقع على فؤوس حجرية وأدوات أخرى ، وبقايا حيوانية من العصر البليستوسيني ، كما اكتشفت بقايا حيوانية تعود الى العصر الجليدي ، ويشير علماء الآثار أن هذه المجموعات الأثرية المكتشفة تشكل أكبر مجموعة ظهرت حتى الآن ، وقد تمكن من تأريخها بشكل جيد بواسطة البقايا الحيوانية المرافقة لها في عصر « المندل » ومن حسن الحظ أن الكثير منها بقيت في مكانها الأصلي ، بعد هجرة الموقع ــ دونما اضطراب وتشير الأدوات الصوانية الى تنوع ملحوظ في درجات الإتقان .

● وتعتبر مكتشفات يبرود (قرب دمشق) من أقدم ما عرف من الصناعات الحجرية لدى انسان الملاجىء والكهوف في الشرق الأوسط، ولدينا مكتشفات من مغائر يبرود تمثل شواهد على وجود الإنسان وتنوع حضارته تعود بتاريخها الى / ٢٠٠ / ألف سنة .

● وفي تل الرماد (قرب قطنا) اكتشفت لقى وأدوات عديدة تعود الى فترات مبكرة من التاريخ ، تمكن علماء الآثار من تأريخها بواسطة الكربون المشع (C. 14) . وثبت من خلال النتائج أنها تعود الى فترة زمنية تقدر بـ / ٦٢٥٠ / قبل الميلاد ، كما تمكن العلماء من التعرف على أنواع عديدة لحبوب مختلفة كان الانسان يستعملها في حياته (قشور الشعير والحنطة والعدس) وقد دلت المعلومات المتوفرة أن انسان تل الرماد قد اعتمد في حياته منذ البداية على الزراعة .

● في بقرص (منطقة الخابور) اكتشف « فان لير » معطيات أثرية تعود الى الألف السابع ق.م ، كما اكتشف « فان لوون » في مواسم

(٧٧ ــ ٧٨ ــ ٨٩) مواقع سكنية هامة ، عرف من خلالها طريقة البناء المتفردة التي اعتمدها الأهالي في بناء منازلهم ، وهذا الموقع من المواقع الأولى في العالم التي عرفت وأجادت استخدام الجص في البناء • وهو أيضا من المواقع الأولى في العالم التي عرفت زراعة الشعير والدخن (يشبه الذرة) كما عرفت تربية الأغنام والماعز •

● في جرف العجلة : (شمالي غرب تدمر بـ ٢٠ كم) اكتشفت في كهفه العديد من الأدوات الصوانية التي استعملها الانسان في حياته وقدرت بـ / ٦٠ / ألف قطعة (أداة) وتمثل هذه الأدوات مراحل تحول هامة من حضارة الصوان الخشن الى الصوان المشطوف •

● تل المريبط : (منطقة غمر الفرات) ضم هذا التل العديد من القطع الصوانية والكسر الفخارية التي تدل على بقايا استيطان بشري (قوامه الرماد وشظايا العظام والمحار والفحم الخشبي والحصى المحترق) •

كما اكتشف في هذا التل العديد من النصال المشرشرة ورحى وأحجار للجرش وسحق الحبوب تمثل نماذج فريدة للصناعة الحجرية المحلية تعود بتاريخها الى الألف الثامن قبل الميلاد •

وهذه الدلائل تمثل شواهد ناطقة عن أقدم قرية في سورية والمنطقة، عرفت الزراعة وتربية المواشي والبناء وصنع الفخار •

ان العمل في عصور ما قبل التاريخ ما زال حديث العهد ، بالمقارنة مع الأعمال الأثرية في العصور الأخرى •

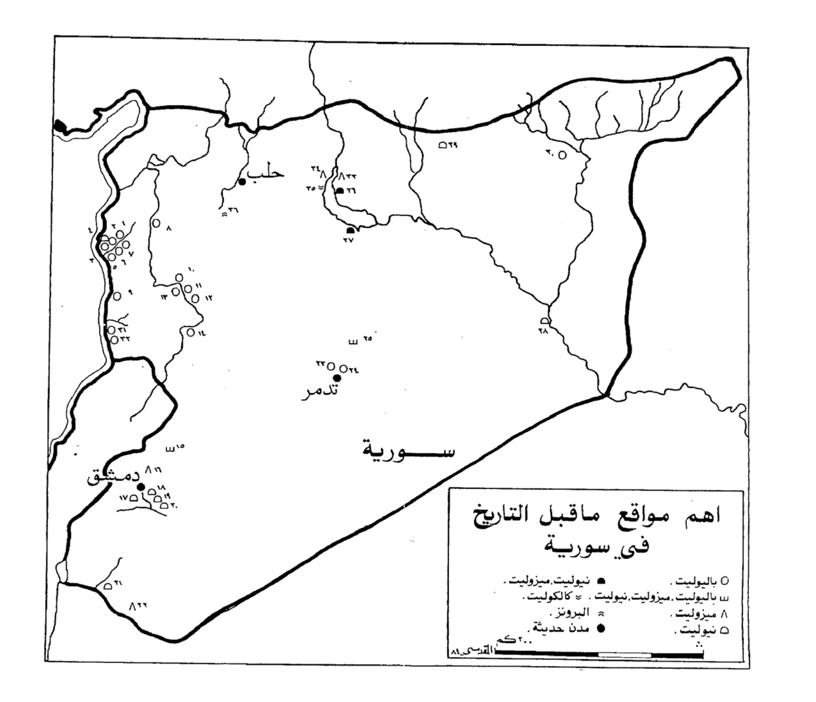
ومع ذلك فان ما اكتشف من دلالات ومعطيات أثرية خلال هـذه السنوات القليلة جدا ، جعلت قطرنا في مصاف الدول الهامة في هذا المجال ...

ومما لاشك فيه أن نتائج الأعمال في السنوات والمواسم القادمة سوف تحمل لنا الكثير .. الكثير من العطاء ، عن فترات زمنية تعتبر من أكثر الفترات التاريخية اثارة ودهشة ، يدخل أكثر من ٩٩٪ من حياة الانسان ضمن عصورها .

هوامش :

١ ـ عقد المؤتمر في جامعة ليون ، وشارك فيه اكثر من مائة عالم وباحث في عصور ما قبل التاريخ ، ومثل القطر العربي السوري في المؤتمر ، الزميل الدكتور سلطان محيسن.

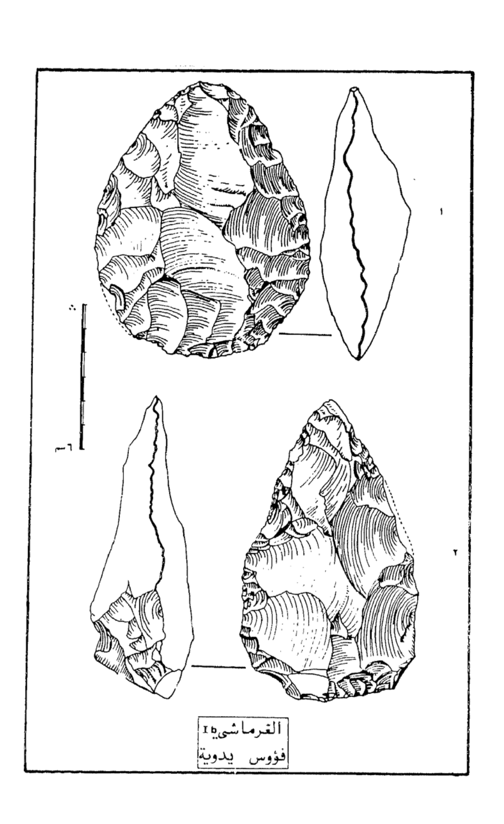
٢ ـ مخطوط كتاب ، قيد النشر للدكتور سلطان محيسن ص ١١٥ / وما بعدها .



اهم مواقع ماقبل التاريخ
في سورية
باليوليت .
باليوليت ،ميزوليت ،نيوليت .
ميزوليت .
نيوليت .
نيوليت ،ميزوليت .
كالكوليت .
البرونز .
مدن حديثة .
٢٠٠ كم
القدسي ٨٤
حلب
تدمر
دمشق
سورية



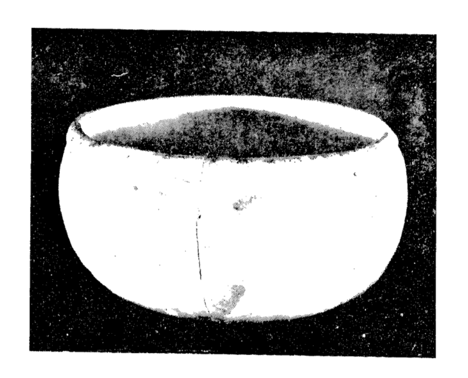
ادوات حجرية استخدمها انسان ما قبل التاريخ السوري
من مكتشفات تل الرماد ٦٠٠٠ ق.م



القرماشي I b
فؤوس يدوية



انـاء حجري ـ تل المريبط ٨٠٠٠ ق٠م



طبق حجري ـ تل المريبط ٨٠٠٠ ق٠م

كيف عرف انسان
ماقبل التاريخ السوري المسكن؟!

المسكن في كل عصر من العصور ، يرصد حضارة الانسان وتطوره، ويعبر أصدق تعبير عن المستوى الحضاري لاي أمة من الامم ، وقد تميز المسكن على الدوام بصفتين أساسيتين لا يمكن التفريق بينهما ، فالصفة الاولى لمسكن الانسان تتجلى في مواد البناء وطرق الانشاء ، والصفة الثانية ، تتجلى في المعنى الحسي والجمالي للمسكن ، وما يتمتع به من صفات خاصة تميزه عن غيره ، والبحث عن آثار مسكن الانسان هو في المحصلة قراءة علمية لتراثه وفنونه وعاداته وتقاليده ، ويعني فهما حقيقيا لمستواه العلمي والحضاري في كل عصر من العصور.

لقد دلت الدراسات والابحاث الاثرية العديدة ، التي جرت عن مواقع ما قبل التاريخ السوري، على استخدام الانسان المغاور والكهوف والخيام ، منذ مراحل مبكرة من وجوده ، ومن هذه الاصول الاولى للمسكن انطلقت العمارة ، وتنوعت نماذجها وأساليبها وتفاصيلها وفق مجمل عوامل عديدة مشتركة ، أهمها الشروط الجيولوجية والمناخية والتقاليد والعادات ، ترى منذ متى عرف الانسان في سورية البناء ؟!

بناء على المعطيات الاثرية التي توصل اليها علماء الآثار هذا ما سوف نحاول التعرف عليه !!

في موقع « الغرماشي » في منطقة حوض العاصي الاوسط ، وجد علماء الآثار دلائل بناء ، أرخت في حوالي عام ــ ١٥٠٫٠٠٠ سنة ، حيث اكتشفت على ضفة النهر اليسرى آثار معسكر قديم ، غير مخرب،

وتشير الاحجار الكثيرة التي وجدت على سطح الموقع الى احتمال أن يكون الانسان قد أقام نوعا ، ولو بسيطا من البناء ، وتتكاثر مواقع سكن الانسان في العصر الآشولي الاخير[1] •

فقد ظهرت لاول مرة آثار اقامة الانسان في المغائر سواء في مغائر « يبرود » أو مغارة « جرف العجلة » قرب تدمر ، أو موقع « الكوم » في بادية تدمر •

في عصر الباليوليت الاعلى ، وخاصة في القسم الاول منه (٣٥ — ١٥) ألف سنة شهدت مجتمعات ما قبل التاريخ السوري تطورا كبيرا في حياتها المادية والروحية ، فبدل الاقامة في العراء صيفا واللجوء الى المغائر الطبيعية شتاء ، أخذ الانسان يشيد أبنية من الطين والحجر ، بدأت بسيطة وصغيرة وما لبثت أن كبرت وتعقدت •••

حول هذا الموضوع يقول الدكتور سلطان محيسن ، أستاذ ما قبل التاريخ السوري في جامعة دمشق : « لقد كان للبيت الدور الكبير في تحكم الانسان بوسطه واقامته في المكان المرغوب ، ومقاومته الشروط المناخية المختلفة ، وفي نشوء علاقات اجتماعية ورعوية جيدة، يلاحظ ذلك من خلال الاعمال الفنية المنوعة التي صورت الانسان وبيئته ضمن طقوس ذات دلالات عميقة » •

في العصر النطوفي (نسبة الى موقع وادي الناطوف في فلسطين) الذي تمتد مدته بين (١٠ — ٨) آلاف سنة قبل الميلاد ، أقدم آثار البناء ، وجدت في السوية الدنيا من « تل المريبط » في وادي الفرات ،

حيث مجدت آثار أبنية صغيرة ، مستديرة ، مصنوعة من الحجر والطين ويعود تاريخ هذه السوية الى النصف الثاني من الالف التاسع قبل الميـــلاد •

حفريات تل المريبط ، قدمت لنا معلومات ومعارف أساسية جديدة عن أول عملية استقرار للانسان بالشكل المتعارف عليه ، حاليا كمـــا قدمت معلومات عن بدء الزراعة وتربية الحيوانات •

صحيح ان الناس في تل المريبط سكنوا في أكواخ دائرية متواضعة، كما دلت آثارها ، ولكنها كانت دائمـــة ، وكانت محفورة جزئيـــا في الارض ، ومغطاة بالخشب والطين •

وتصف لنا الدكتورة « ايفا شترومنغر » أحد بيوت تل المريبط فتقـــول(٢) :

« لقد حفر هذا البيت على المنحدر الغربي للوادي المطل على النهر ، فكان جداره الشرقي بأكمله من التراب ، وقد كانت التربـــة مبنية من الداخل بأعمدة من خشب الحور ومصفوفة بعضهـــا بجانب بعض ، ومطلية بالطين ، أما الجدار الغربي فكان قائما بمعظمه فوق الارض ، ومبنيا من الطين المرصوص ، وقد دعم بالاعمدة أيضا ولكن من الخارج •

أما داخل البيت فقد كان مقسما بواسطة جدران صغيرة يتراوح علوها بين ــ ٧٠ ــ سم والمتر الواحد ، وقد بنيت مـــن الطين الذي تتخلله ألواح خشبية أو حجرية موضوعة بعضها فوق بعض بصورة

أفقية ، ومن الممكن أن نلاحظ هنا البدايات الاولى لبناء البيت المتعدد الاجزاء التي ينفصل بعضها عن بعض حسب وظائفها المختلفة ... » .

وتتابع الدكتورة شترومنغر وصفها : « كانت تتألف قرية المُريبط من مجموعة من هذه البيوت ، ومن الملفت للنظر ذلك المستوى التقني العالي لفن العمارة الذي كان يستخدم مواد بناء مختلفة (مسبقة الصنع) وقد وجدت حتى بقايا رسوم جدارية ذات أشكال وتزيينات هندسية في اثنين من البيوت ...

وفي مرحلة متقدمة ، أخذت تطرأ تغيرات في أشكال البناء ، اذ ظهرت حجرات صغيرة مستطيلة بعرض حوالي ــ ٥ر١ ــ م استخدمت غرفا للمؤونة ، وفي مرحلة لاحقة أصبح البيت مستطيل الشكل » .

كما عثر على بقايا قرية مماثلة في موقع الكرم ببادية تدمر يعود تاريخها الى الالف الثامن قبل الميلاد .

في « بقرص »[٣] هذا الموقع الاثري الهام الذي يقع الى الجنوب من مدينة دير الزور بحوالي ــ ٤٠ كم ــ ، ويعود تاريخه الى الالف السادس قبل الميلاد ، اكتشفت بقايا البيوت السكنية بكثرة ، مصنوعة من اللبن الطيني ، وتصطف متقابلة على جانبي شوارع ضيقة وهي مبنية حسب تصميم أو مخطط واحد تقريبا .

فالبيت كما تصفه « ايفا شترومنغر » يتألف على الغالب من ثلاث غرف للسكن كبيرة مستطيلة ، ثم صف أو صفين من ثلاث غرف صغيرة توضع فيها أوعية للمونة ، وهـي تستخدم كمخازن ومطابخ . الا أن

غرف المعيشة كان فيها أيضا أوعية مؤونة ، بالاضافة الى مواقد الطبخ والافران ، وكانت جدرانها البيضاء تزين برسوم من الطين .

أما في « تل الرماد » قرب « قطنا » (٦٠٠٠ ق.م) فالبيوت مستطيلة ، ذات غرفة واحدة ، واستخدمت الحجارة لبناء الاساس ولبنات الطين لبناء الجدرا ن، كما ظهر في « تل أسود » آثار أربع قرى متتالية ، دلت عليها آثار الابنية ، ويعتبر هذا الموقع من أقدم المواقع التي عرفت السكن والاستقرار في حوضة دمشق (الالف السابع قبل الميلاد) .

أول اكتشافات الاستيطان أتت من الساحل السوري ، كانت من موقع رأس الشمرة (أوغاريت) في حوالي الالف السادس قبل الميلاد ، فقد دلت المعطيات الاثرية على اشادة البيوت بالحجارة ، وتطورت متمثلة في بيوت صغيرة رباعية الشكل مبنية من الحجارة ، وأرضية مفروشة بالجص ، وليس اتساعها المتزايد الا دليلا على نمو سكاني مضطرد .

وفي عام ٥٢٥٠ ق.م وقعت تحولات عميقة وخاصة في اقامة المساكن وتوفير الاثاث ، فقد أصبحت المساكن المبنية من الحجارة تحتوي على عرف مستطيلة الشكل ، وعلى أفران مستديرة ذات فتحات أفقية مطلية ، وهكذا كونت هذه المساكن مجمعات سكنية كثيفة محاطة بسور يلفها .

من خلال هذا كله ، نستنتج أن مسكن انسان ما قبل التاريخ

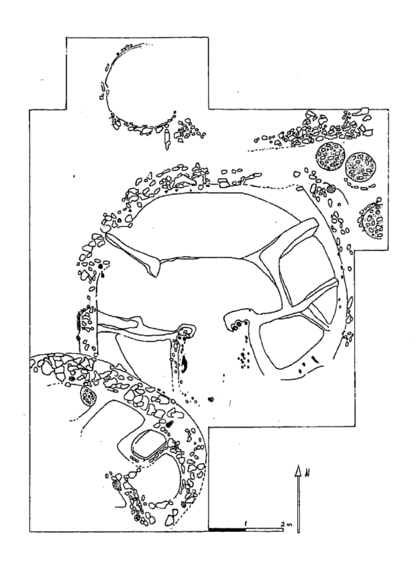
في سورية قد تطور تطورات كبيرة عبر مراحل زمنية متباعدة ، وهـــذه التطورات كانت سببا رئيسيا لظهور فعاليات حضارية مختلفة في تطور الانسان ، وتطور فعالياته الاقتصادية والاجتماعية والدينية المختلفة .

هوامش :

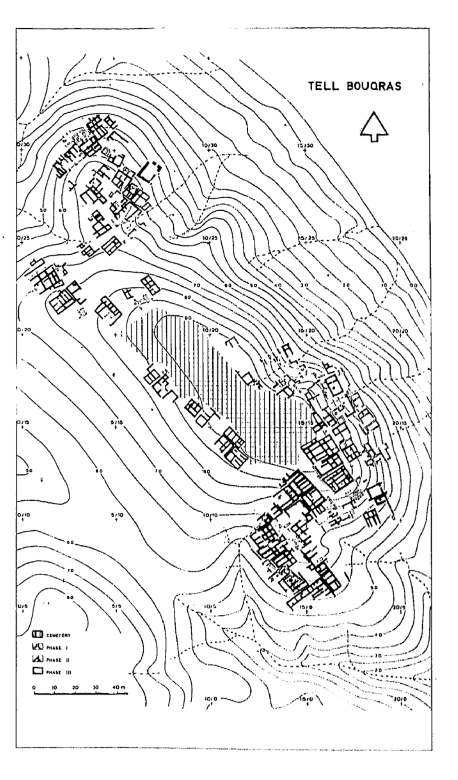
١ ـ دراسة في منشــورة للدكتور سلطان محيسن .

٢ ـ الآثار السورية ، دار فور فرتس للطباعة ، فيينا ١٩٨٥ ص ـ ١٨ ـ .

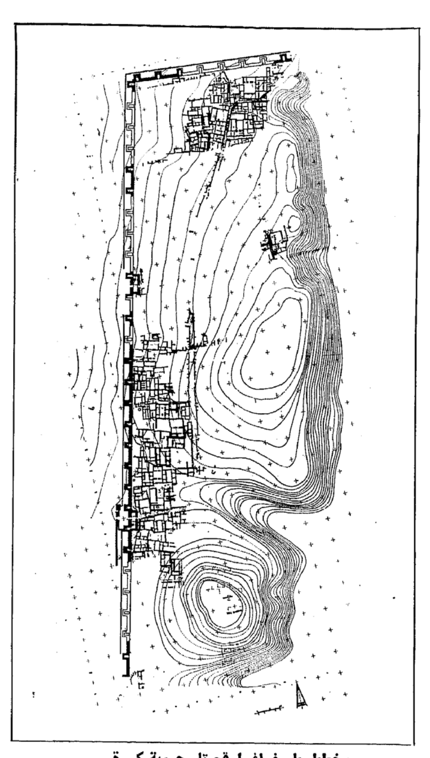
٣ ـ المصــدر السابق ص ـ ١٩ ـ .



مخطط تل المريبط ٨٠٠٠ ق٠م



مخطط طبوغرافي لموقع تل بقرص ٦٠٠٠ ق.م



مخطط طبوغرافي لموقع تل جبوبة كبيرة

٣٥٠٠ ق.م - ٣٣٠٠ ق.م

الرؤية الفنية لانسان ماقبل التاريخ السوري

في ضوء الادلة والمعطيات المادية الكثيرة التي قدمتها نتائج المواقع الاثرية في قطرنا العربي السوري ، خلال السنوات القليلة الماضية ، تطرح الاسئلة التالية : ترى كيف كان فهم الاجداد في عصور ما قبل التاريخ للعالم ؟!

وكيف كانت أعمالهم الفنية المنفذة بطريقة الرسم ، أو ا لتشكيل اليدوي ؟! وهل كان من خلال هذه الاعمال يعبر عن أفضل فعالياته الذهنية الانعكاسية ، وهو يستمد مادة أفكاره وتصوراته من العالم المحيط به ؟! وهل الصورة المنسوخة ، سواء أكانت رسما أم تمثالا ، تعبر في حياة انسان ما قبل التاريخ ، عن ذكرى رمزية لواقع محدد ؟!

يقول جاك كوفان[1] : « ان حقيقة وجود مثل ذلك الاختبار ... تتجسد بواسطة الفن التشكيلي ، وما هي الا ترجمة منقحة واجتهادية تتمخض عنها مواضيع معينة ، وتهمل مواضيع أخرى ، وهذه هي الطريقة الاولى التي تنفتح أمامنا ، حتى نفهم العالم المادي المحيط بانسان ما قبل التاريخ ، والرواية التي تولدت لديه عن ذلك العالم » .

ان دراسة مخلفات انسان ما قبل التاريخ السوري ، وخاصة في العصر الحجري الحديث « النيوليت » (٨ ــ ٤) آلاف سنة قبل الميلاد ، تعطينا فكرة عامة عن فنه وتصوراته للعالم المحيط به ، ففي هذا العصر تحولات أساسية في حياة الانسان ، سواء في ميدان الادوات الحجرية التي استخدمها أو العمارة أو الفن ، أو غيرها ... وفي هذا العصر

تخلص الانسان من التنقل والالتقاط والصيد ، وأصبح يعتمد على الاستقرار والزراعة وتربية الحيوانات .

وعلى صعيد الحياة الفنية والدينية ، فقد شهد هذا العصر تقدما هاما ، فصنع الانسان الدمى الحيوانية والانسانية ، وجرى التركيز على دمى المرأة الربة ، دلالة على تقديس الامومة والخصب في هذا الزمن المبكر ، ولأصبحت الدمى أكثر واقعية وتنوعا ، وظهرت لاول مرة الرسوم الجدارية التي ضمت أشكالا انسانية وحيوانية وهندسية ، ذات مضامين معينة وتزايدت الآثار الفنية الاخرى مثل مواد الزينة والحلي المصنعة من الاحجار النادرة (خرز ـ خواتم ـ رحى ـ تمائم ـ أمشاط) .

وبرزت بوضوح العقائد الدينية المتعلقة بعبادة الجماجم «تقديس الاموات» فأحيطت الجماجم باهتمام خاص ، دفنت بعناية ، وبشكل منفصل عن بقية الجسم ، ثم أصبحت تعامل بنوع من التحنيط .

هكذا ترك لنا انسان ما قبل التاريخ السوري بصماته الفكرية الاولى ، وكان أول عمل تشكيلي له عبارة عن دمى طينية تمثل المرأة عارية ، بعضها واقعي منتزع من الحياة وبعضها الآخر تجريدي يرمز الى المرأة بأشكال مختزلة ... فقد عثر في « تل المريبط » في منطقة غمر الفرات على دمية امرأة عارية ، يعود تاريخها الى الالف التاسع قبل الميلاد . ونرى ان الفنان ركز على ملامح الجسد الانثوية (الثديين والمؤخرة) دون أن يهتم بملامح الوجه والرجلين ، ويعتبر هذا التمثال المصنوع من الصلصال ، أقدم عمل فني يمثل المرأة ظهر في أرض قطرنا العربي السوري (وحيد خياطة ـ المرأة والألوهية) .

لقد عالج الانسان منحوتاته معالجة متنوعة من الناحية التشكيلية، فالدمية الطينية تجسيم كامل وواقعي لجسد المرأة ، والاشارة الى العضو الجنسي بالحزوز ، الذراعان يلتفان حول الثديين ، تضخيم الورك والمؤخرة ، أما الدمى المبسطة التي اكتشفت في تل المريبط فنرى أن الفنان قد جعل الفخذين يمتدان أفقيا حتى يضمن حالة الجلوس للدمية ، ثم أنهى الكتلة برأس مبسط (الوحدة الحضارية في بلاد الشام ـ جاك كوفان) .

أما الدكتورة ايفا شترومنغر فتقول حول هذا الموضوع[٣] :
« كانت التماثيل البشرية تصنع في « تل المريبط » بتشكيل النموذج على الطين أو بالحفر على الاحجار الكلسية الطرية ... وقد كانت أقدم تماثيل الانسان نسائية ، واننا نميل الى اعتبار هذه الاعمال إلاهات ترمز أنوثتها الى الخصب وعلى ذلك فقد كانت آلهة الخصب معروفة في « المريبط » حتى قبل ادخال الزراعة ، ولقد تعين أن تمر ألف سنة أخرى قبل أن يظهر الى جانبها اله ذكر ، وذلك حوالي ـ ٧٠٠٠ ـ قبل الميلاد . ولكن هذا الاله لم يبلغ ـ كما يبدو ـ مكانتها بل بقي في مرتبة أدنى » .

لقد اكتسب التشكيل الانساني ، لانسان ما قبل التاريخ السوري في العصر الحجري الحديث ، نوعا من المكانة الرفيعة في الفن ، كما أصبح المغزى الالهي بصفته موطنا خياليا لكنه مفعم بالنفسية الجماعية في شخص المرأة دون غيرها ، وجرى استغلال الجسم البشري استغلالا متزايدا في وظيفة رمزية وهذا نتيجة لاشراف حضاري وسكاني في مجتمع متحرك (حسب تعبير جاك كوفان) يبدو أنه لم يغير استراتيجيته الا مع تغيير ذاته .

واذا هبطنا من المريبط باتجاه الفرات الادنى فاننا نصل على بعد أربعين كيلو متر جنوبي دير الزور الى موقع « بقرص » الاثري الذي يعود تاريخه الى الالف السادس ق٠م ، واكتشف على جدرانها رسومات جدارية لا سراب من الطيور التي تمشي على الارض[٣] ٠

واكتشف تمثال جسم امرأة ، نراها فيه تتخذ وضعية الركوع ، ونجد أن أعضاء الجسم المختلفة قد أعطيت طابعا تشكيليا أرقى ــ ولا سيما الظهر من الخلف والثديين والذراعين ٠ ووجه التمثال في لقى أثرية أخرى ، نراه بشكل أدق بكثير مما نجده في نماذج المريبط ، ونلاحظ أن محجري العينين العميقين وبوضوح آثار مثقب كروي استخدم في صنعه ، وأكبر الظن ــ حسب تعبير ايفا شترومنغر ــ اننا لا نعرف وجود عروض تشكيلية طبيعية للوجه البشري في الشرق القديم في المرحلـه السابقة على هذا التاريـخ ٠

وفي موقع تل الرماد ، الواقع قرب بلدة قطنا على بعد ــ ٢٠ كم ، ويعود تاريخه الى الالف السادس قبل الميلاد ، نجد أن الفنان في هذه المنطقة قد صنع من الفخار تماثيل متنوعة يقلد بها أشكال الحيوانات والبشر ، وتشير الدلائل الاثرية الى وجود علاقة قوية للاهالي مـع أسلافهم ، بعد موتهم ، فقد كانوا يرسمون نموذج الشكل الانساني على العظام الخالية من اللحم بعجينة كلسية ، وفي تمثال انسان يجلس القرفصاء نجد الساقين ممدودتين ومكسورتين من أسفل الركبة ، أمـا الذراع الايسر فقد ثبت كعروة جرة ، ويبدو الشخص واضعا يده على خصره ، أما الرأس فلا يعدو أن يكون انتفاخا اسطوانيا مفلطحا مـن الاعـلى ٠

ويعتقد علماء الآثار بأن مثل هـذه التماثيل كانت تستخدم كقواعد لجماجم الاسلاف التي وجدت بقربها ، فقد كانت الجمجمة توضع فوق رأس التمثال الذي لم يعمد لهذا السبب الى معالجة هيئته تشكيليا .

من خلال هـذا العرض لبعض المكتشفات الفنية في أهـم مواقع ما قبل التاريخ السوري (المريبط ــ بقرص ــ تل الرماد) نرى أن هناك روابط ثقافية تربط بينهما ، ووحدة حضارية متميزة بالاضافة الى دلائل تعكس الدور الروحي المتميز الذي لعبته المرأة في ذلـك العصر ، مما وضعها في مكانة اجتماعية وروحية مقدسة ، « الربة الأم » كما تعكس الرسوم الجدارية التي اكتشفت في تل المريبط وبقرص ــ والتي يعتبرها علماء الآثار من أقدم الآثار ــ من نوعها ، التي اكتشفت في منطقة الشرق القديـم ، دلالات واضحة على الرغبات والتعبيرات الفنية والجمالية لانسان ما قبل التاريخ السوري .

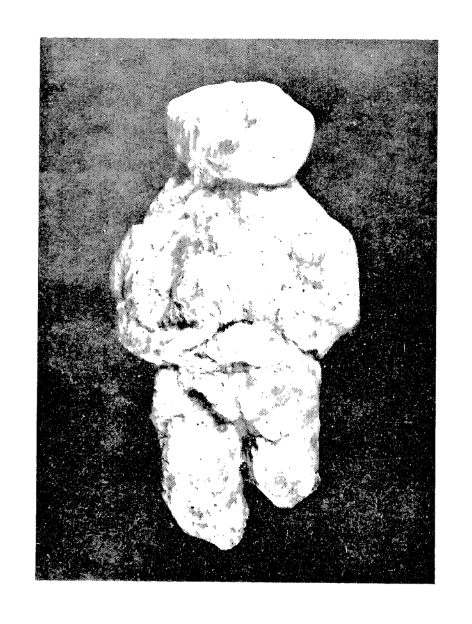
هوامش :

---

١ ــ د. جاك كوفان ، الوحدة الحضارية في بلاد الشام ، دمشق ١٩٨٤ ، تعريب قاسم طوير / ص ١٣٥ / وما بعدها .

٢ ــ الآثار السورية ، دار فورفرتس للطباعة فيينا ١٩٨٥ ص / ٢٢ / .

٣ ــ نفس المصدر / ص ٢١ / .



تمثال امرأة واقفة من تل المريبط

٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق٠م ـ من الحجر الكلسي الابيض



جسم لتمثال امرأة ـ تل بقرص ٦٠٠٠ ق.م



رأس تمثال ، تل بقرص ٦٠٠٠ ق.م



تمثال لرأس غزال ـ تل بقرص ٦٠٠٠ ق٠م



تمثال انسان من تل الرماد ٦٠٠٠ ق٠م



تمثال الربة الام ــ مكتشفات تل المريبط ۸۰۰۰ ق٠م



رسوم جدارية وجدت في موقع تل بقرص
٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق٠م

قصر مملكة ماري على الفرات الأوسط

يقول علماء الآثار « ان الحقيقة فاقت دائما الخيال في ماري تل الحريري » تلك الحاضرة الاثرية العملاقة ، التي قال عنها العالم الآثاري الكبير أندريه بارو : « يلزمنا مـا لا يقل عن مئتي عام لننتهي مـن حفر ماري كلهـا »[1] .

لقد تتالت الاكتشافات الاثرية الهائلة في هذا الموقع العظيم منذ عام ١٩٣٣ ،ولا زالت ، وفي كل موسم أثري ، تتوضح الصورة أكثر ، وتؤرخ صفحات جديدة تلقي الضوء على عراقة التاريخ والحضارة في قطرنا العربي السوري ..

ان هذه الاعمال المتلاحقة التي تتم باشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف ، كشفت عن عدد من المعابد والقصور الملكية ، والبيـوت السكنية ، وعن مجموعة من التماثيل الحجرية والرسوم الجداريـة المتعددة الالوان ، وكذلك عن مجموعات صدفية ومكتبية ضخمـة تحتوي أكثر من عشرين ألف رقيم مسماري ، تشكل أرشيف محفوظات كاملة عن الحياة السياسية والاجتماعية في الالف الثالث والثاني قبـل الميـلاد .

ويبقى قصر ماري من أكبر الاكتشافات التي أتحفنا بها موقـع تل حريري، ويقع غربي الزقورة ـ وهو القسم المغطى ـ حاليا ـ بألواح بلاستيكية ملونة ، أقامتها المديرية العامة للآثار والمتاحف ، حفاظـا وصيانة له ، بمساحة ٧٠٠ متر مربع ، على أثر حملة دولية قامت بهـا جمعية أصدقاء ماري لحماية بقايا هذا القصر ، التي كانت مهددة بالزوال من جراء التأثيرات المناخية .

يعتبر قصر ماري من أهم القصور في بناء الشرق القديم ، وقد كتب عنه الاب فنسان : « انه درة العمارة الشرقية القديمة » ، وقد طبقت شهرته الآفاق منذ الالف الثاني قبل الميلاد وتمنى كثير من الملـوك أن يلقوا نظرة عليه ، ولا عجب في ذلك فالدلائل الاثرية المكتشفة ، وهي كثيرة ، تشير بأن القصر كان يتحلى بكل أنواع الترف ، فالغرف تزهو بالرسوم الجدارية ، وتتحلى الجدران بالكسوة الخشبية المحفورة والمدهونة، وبالتطعيم الملون والرسوم التي تحاكي الرخام والتماثيل...

تقول البروفيسورة ايفا شترومنغر[٢] : « تحدث التجار في ميناء أوغاريت على البحر المتوسط عن قصر ماري المهيب ، لكن ملك أوغاريت لم يصدق أقوالهم ، فقرر ارسال ولده الى ماري ليأتيه بالخبر اليقين عن القصر العجيب ، لكن الدخول الى رحاب القصر كان محظورا على الغرباء اذا لم يكن بحوزتهم توصية من قريب أو صديق ، عندئذ استغل ملك أوغاريت علاقات حسن الجوار التي كان يقيمها مع ملك حلب ، لا سيما وان ملكها حمورابي كان يرتبط بعلاقة قرابة مع البيت المالك في ماري ، فالملك زيميرى ليم ، اتخذ من ابنة حمورابي زوجة له ، وبالفعل كتب حمورابي ملك حلب رسالة توصية الى زوج ابنته الملك زيميري ليم . وقد عثر المنقبون الآثاريون على تلك الرسالة بين أنقاض القصر ، وهذا هو نصها : من حمورابي الى زيميرى ليم ، كتب لي آخيك ملك أوغاريت ، أنه يريد رؤية قصرك ، واليوم أبعث اليك ابنه مع أحد رسلي ، حامل هذه الرسالة » .

يصف لنا العالم الآثاري الراحل « أندريه بارو » معالم القصر ، فيقول : « تبلغ مساحته هكتارين ونصف ، أكبر طول فيه ٢٠٠ م ،

والعرض ١٢٠ م شكله ليس مستطيلا تماما ، ويضم نحو من ٣٠٠٠ غرفة وباحة ، وكان محاطا بسور مدهش يبدو منيعا ولكنه لم يكن كذلــك كما برهنت الحوادث ، اذ أن حمورابي ، ملك بابل نجح في الاستيلاء عليه مرتين ، وبعد اجتياز مجموعة من الباحات الصغيرة ، والممرات المتعرجة ، لغايات دفاعية ، يصل المرء فجأة الى باحة سماوية كبيرة هي أكبر باحة في القصر ، ٤٩×٣٣م ، ومركز الحياة الرسمية والادارية في المملكــة •

تشير الدلائل الاثرية ان هذهالباحة الواسعة ، قد كانت مبلطــة بآجر مربع جميل بأكملها تقريبا ما عدا منطقة صغيرة في الوسط ، كانت مخصصة لغرس شجيرات النخيل ، لذلك كان يطلق عليها اسم قاعــة النخيل كما ذكر في ترجمة احدى اللوحات المسمارية المكتشفة •

تقع قاعة الملك ، على أحد أضلاع الباحة ، ويصعد اليها بدرج مهيب نصف دائري ، وكانت هذه القاعة مزينة بالرسوم الجدارية الملونة التي اكتشفت بقاياها البعثة الاثرية ، ومن هذه الباحة الواسعة ، يمكن الوصول الى مختلف أقسام القصر ، وذلك بواسطة دهاليز مختلفــة الطول غير أنها متعرجة دومــا •

بواسطة هذه الدهاليز نصل الى الباحة الكبيرة الثانية ، التـــي تعتبر من أفخم باحات القصر ، أرضيتها مفروشـــة بعدسة ملســـاء ، وجدرانها مطلية بالجص وعليها تكوينات تصويرية كبيرة ، نصل أيضا الى الاجنحة الخاصة بالاسرة الملكية ، ولهذه الاجنحة باحة صغيرة وحولها ثلاث وثلاثون غرفة وحمامات ومغاطس •

عثرت البعثة الاثرية في أطلال هذا القصر على مدرستين كانتـا مجهزتين بمصاطب صغيرة مرتبة تشبه ترتيب مقاعد الصف ، المبنية من اللبن ، وكانت ألواح التعلم مصنوعة أيضا من الطين ، وقد عثر بين المقاعد على كثير من اللوحات والمعدات المدرسية[٣] .

وتتابع جولتنا بين أطلال القصر لنصل الى جناح الموظفين الذي يحتل المنطقة الغربية منه ، وغرف هذا الجناح تقدم مثالا ممتازا عن منشآت صحية متكاملة ، وهناك جناح خاص بالخدم والمطابخ والمستودعات وغرف خاصة لضيوف القصر الذين كانوا يؤلفون عددا كبيرا اذا استندنا في تقديره الى آلاف الرسائل التي تلقاها الملك زيميري ليم وحده ، كما يشير الى ذلك أندريه بارو .

في الزاوية الجنوبية الشرقية من القصر ، نجد أنفسنا أمام المعبد الصغير ، يصفه أندريه بارو فيقول : « انه جوهرة في قلب علبة ضخمة تمثل القصر ، نرى هنا ترفا في التجهيزات وكان هذا المعبد فيما مضى ، مركز عبادة وكانت طقوس العبادة تجرى في قاعتين صغيرتين تؤلفان بهوا مقدسا » .

أما سور القصر[٤] فتشير الدلائل الاثرية بأنه كان على سماكات مختلفة ، ومادة البناء هي اللبن ، مع استخدام الحجر والآجر في بعض الحالات ، وكان ارتفاعه أكثر من ستة أمتار من جوانبه الثلاثة الغربي والشرقي والجنوبي .

لقد اكتشف بين أطلال هذا القصر ، أرشيف الرقم المسمارية الذي تحدثنا عنه آنفا اضافة الى العديد من القطع والمنحوتات الاثرية الهامة

التي تتباهى بها متاحف دمشق وحلب واللوفر بباريس منها تمثـال : « ايشتوب ايلوم » حاكم ماري ، المنحوت بأسلوب يتميز بنزعة واقعية، مادته الحجر البازلتي ، وقد وصل الينا سليما باستثناء الانف المهشم ، وتمثال « ربة الينبوع »(٥) الذي يمثل الربة التي تجلب الماء الواهب الحياة ، ويقال بأن علم الآثار الشرقية لم يعرف وجها ذا تقاطيع أكثـر رقة من وجه ربـة الينبـوع .

كما ترك لنا أهل ماري في قصرهم الى جانب التماثيل أدلة كثيرة على عبقريتهم في فن التصوير ، فالغرف ما زالـت تحتوي بقايا مـن الرسوم التزيينية ، ورسوم التنصيب ومشاهد تقديم الاضحية ، والمشاهد الاسطورية ، التي تتميز بألوانها الزاهية وواقعيتها .

وتدلل على موهبة وقدرة الفنان السوري على الخلق والابداع ، منذ أقدم الازمنة والعصـور .

هوامش :

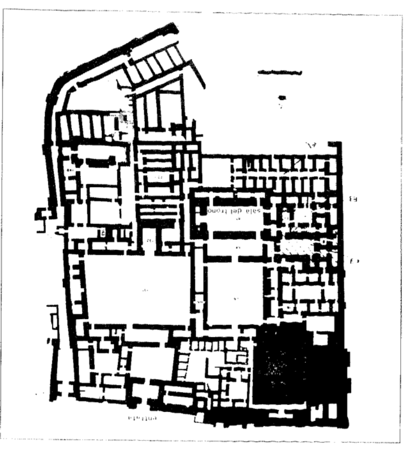
١ ـ جان هيرو ، سورية اليوم ، منشورات جون افريك ص / ١٥٧ / .

٢ ـ ايفا شترومنغر ، ماري اكبر حاضرة في سورية / ص ١٤ / .

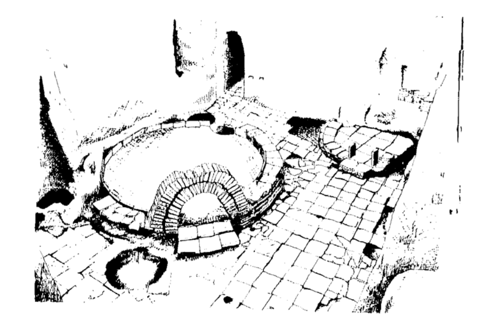
٣ ـ اندريه بارو ، ماري ، ترجمة د. رباح نفاخ ، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق ١٩٧٩ ص / ١٣٦ / و / ١٣٧ / .

٤ ـ نفس المصدر / ١٤٥ / .

٥ ـ نفس المصدر / ص ١٢٧ / .



مخطط القصر الملكي ـ ماري ـ تل الحريري



قسم من قصر ماري

الاختام السورية الاسطوانية

خلال عملي في حقل الآثار والمتاحف الذي يمتد الى بداية عـام ١٩٧٠ أتيحت لي الفرص للتعرف عن كثب ، على المئات من المواقع الأثرية التي تنتشر في طول البلاد وعرضها ، ولم يقتصر ذلك على جمع المعلومات التاريخية والاثرية ، بل امتد ليشمل العديد من مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان تلك المواقع •

وقـد لفت نظري أن هنالك الكثير مـن العادات والطقوس التي حدثتنا عنها الرقم المسمارية المكتشفة ما زالت لها جذورها ، وما زالت تحتل مكانة هامة في عادات وطقوس شعبنا في الوقت الحاضر ، رغـم أنها تعود الى بطون التاريخ وجذور الحضارة ٣٥٠٠ ق٠م ، ومثـال ذلك أن الكثير من نساء منطقة الجزيرة السورية ، ما زلن حتى الآن يضعن فوق صدورهن أختاما أسطوانية الشكل ، مصنوعة من حجر الستياتيت والهيماتيت ، أو من الرخام أو البلور •

وقد رسم عليها العديد من صور وأشكال الحيوانات والطيور، والصور الآدمية • وقد دفعني الفضول أكثر من مرة لتفحص هـذه الاختام والتعرف عليها وعن مصدرها ، ومدى حقيقتها الاثرية ، وحاولت أكثر من مرة الحصول عليها ، بواسطة الشراء لصالح المديرية العامـة للآثار والمتاحف ، ولكنني فشـلت ، بسبب اعتقاد هؤلاء النسـوة « العجائز » بأن هـذه الاختام هـي مصدر سعادة وبركة وخير لهن ولكافة أقربائهن • وقد فوجئت مرة بأن أحد هذه الاختام ، ما زال محفوظا فوق صدر صاحبته منذ ما يقارب الاربعين عاما ، وقد انتقل اليها من والدتها التي حملته بدورها فترة تزيد عن الخمسين عاما •

هذه الحوادث الطريفة دفعتني الى العودة الى بطـون الكتب والدراسات التاريخية استفهم منها عن سبب هذا الاعتقاد ، وللتعرف على الجذور الاولى لظهور الاختام الاسطوانية وتطورها •

المعلومات التاريخية التي تسنى لي الاطلاع عليها ، أثبتت أن ظهور هذه الاختـام يعود الى عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد •

ويقول الدكتور فوزي رشيد : ان فكرة ظهورها تعود الى أقدم من ذلك التاريخ بكثير ، فهي تعود الى ٥٥٠٠ ق•م ، عندما توسعت الحاجة لدى السومريين للمتاجرة بالمواد الغذائية التي كانت تحفظ في جرار فخارية كبيرة الحجم ومن اجل الحفاظ على سلامة تلك المـواد من التلف والتلاعب ، فكانت فوهات تلك الجرار تغطى بالطين ، وتختم تلك الغطاءات تفاديا لكسرها ، ومن ثم التلاعب بمحتوياتها •

ولمـا كانت تلك الجرار واسعة نسبيا ، فان ختم غطاءاتها بواسطة الاختام المنبسطة لم يكن عمليا لمنع التلاعب والغش لان مساحة الختم المنبسط لا تزيد عادة على ٢ سم فلذلك برزت الحاجة ملحة الى الختم الاسطواني بدحرجته على الطين ، فيستطيع المرء أن يختم به مسـاحة واسعة • فكان الختم الاسطواني •

ويلفت الدكتور فوزي رشيد النظر الى فكرة طريفة ، يعتقـد أنها كانت الفكرة الاساسية التي اعتمد عليهـا في صناعة الاختـام الأسطوانيـة •

فمن خلال النماذج المتوفرة لنا عن العجلات القديمة ، وجدنا أن

جميع العجلات القديمة الاولى ، كانت سطوحها الخارجية ، أي الاجزاء الاولى التي تلامس الارض أثناء سير العربة، أو وقوفها، مغطاة ببروزات خشبية أو معدنية وذلكلغرض تفادي انغراز العجــلات في الطين أو التراب •

وبالتأكيد اذا سارت مثل هذه العجلات على أرض طينية ، ولكنها ناشفة تقريبا فان هذه البروزات والفراغات الموجودة بينها تترك آثارا على الطين تشبه تماما الآثار التي تتركها الاختام الاسطوانية عنــد دحرجتها على الطين •

لذلك نعتقد ان هذه العجلات الاولى وما تخلفه على سطح الارض عند سيرها كانت الاساس الاول للختم الأسطواني ، ومما يعزز هذه الحقيقة كثيرا أن جميع الاختام الأسطوانية التي اكتشفت في القطــر العربي السوري وبلاد الرافدين ، مثقوبة من الوسط بشكل يشبه ثقب العجلة الذي يدخل فيه محور العجلات •

مواضيع هذه الاختام :

كانت الأختام الأسطوانية منــذ بدايتها ، انعكاسا صادقا لنتاجات الفنون التشكيلية المعاصرة لها، وكانت أقدم هذه الاختام تعالج ثلاثة مواضيع رئيسية هي :

١ ـــ موضـــوع الحرب والاسرى •

٢ ـــ موضـــوع المعبد وطقوســه •

٣ ـــ موضـــوع عالم الحيـــوان وما يتعلق بــه •

وكانت مواضيعها من اختيار أصحاب الأختام وليس من اختيار صانعيها ، وانها في الوقت نفسه تقليد لانتاجات الفنون التشكيلية ، وكانت تمثل في واقعها مجالا فنيا يستطيع الفنان من خلاله طرح أفكار ومواضيع فنية جديدة ، ومكتشفات مواقع قطرنا الأثرية قدمت العديد من الأمثلـــة عن ذلـــك .

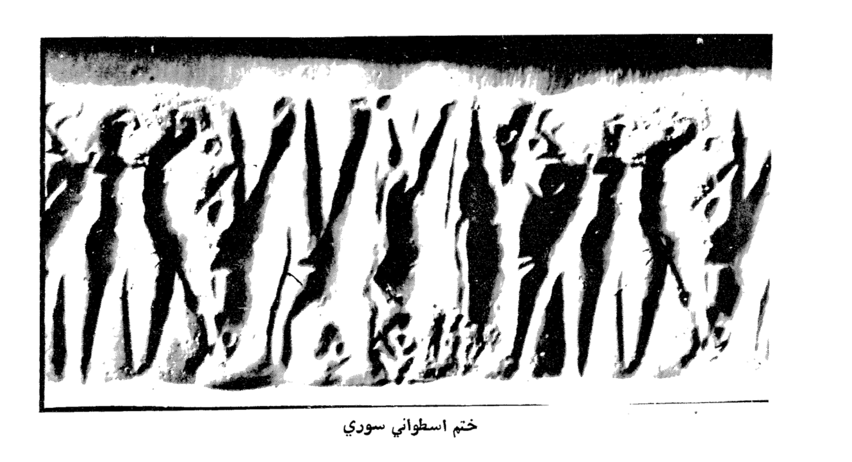
فمواضيع الاختام السورية كانت تتصف بالتجانس من الناحيـــة التشخيصية ، وتتميز بوحدة الموضوع ، وبأسلوب فني بديع يدل على تراث عظيم في فن الحفر ، وكانت الاشكال المرسومة تتراص وتتوزع في نظام شاقولي صارم لا يترك مجالا لاي فراغ ، وقد تميزت أختام « ايبلا » بخصوصية هامة في هذا ا لمجال ، فقد أدخلت العقلانية على أدوار الاشكال المشخصة واستطاع الصانع السوري أن يضيف الى هذا الفن اضافات جديدة لم تكن معروفة من قبل ونوع المواضيع على سطح الختم الواحد ، وعمق الاشكال التي حفرها لتظهر بارزة جدا عند الطبع على العجينة الطينية .

أما المواد التي صنعت منها هذه الاختام فهي الحجارة المتنوعـــة والاحجار الكريمة ، وحتى أن بعضها قد صنع من الذهب ، وسبب د لك يعود الى أنها كانت من المواد الثمينة المتوارثة ، أي التي يرثها الابن عن أبيـــه ، وبسبب هذه الناحية لا يعتمد رجال الآثار دائما على أسلوب صناعة الختم المكتشف في تحديد الفترة الزمنية للطبقات الاثرية وللآثار التي تظهر معه ، حيث كثيرا ما يعثر على ختم سومري في طبقة آكادية أو بابلية أو آشورية ، وذلك بسبب انتقاله من جيل الى جيل .

ولهذا السبب لا نستغرب اذا وجدنا ختما اسطوانيا بابليا فـــوق

صدر امرأة سورية تسكن في الجزيرة السورية ، فقد يكون هذا الختم فد وصل اليها بالتوارث عن أجدادها الاوائل ؛ وعند ذلك اذا قالت لكم أن جدي الاول هو حمورابي ، أو شمشي حدد الاول .

فصدقوها ، انها تقول الحقيقة ؟!



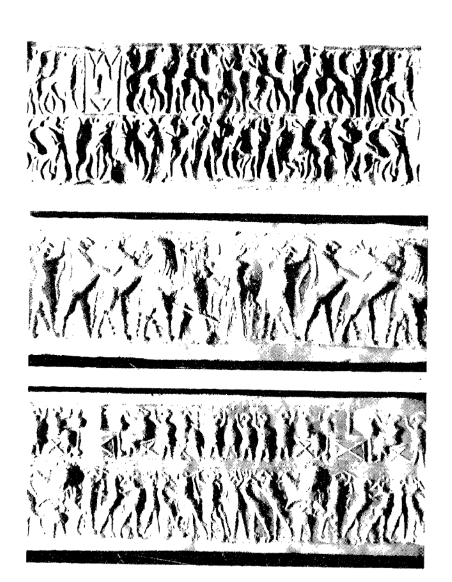
ختم اسطواني سوري



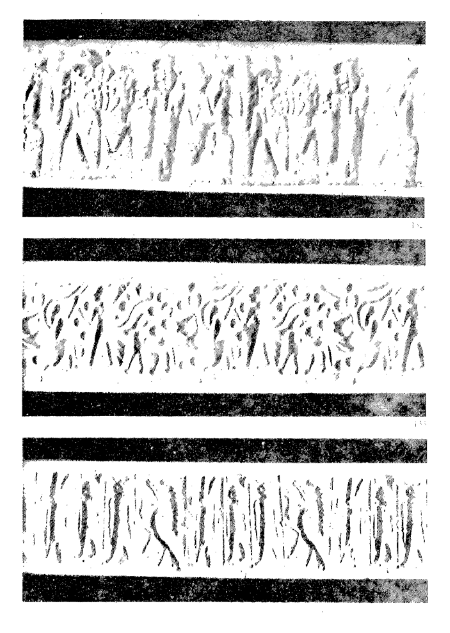
صورة لختم اسطواني اوغاريتي ١٤٠٠ ق٠م



ختم اسطواني من تل مرديخ ـ ايبلا ـ ٢٤٠٠ ق٠م



طبعات لاختام اسطوانية سورية
من ماري (تل الحريري)



طبعات اختام اسطوانية من موقع
اوغاريت (راس الشمرة)



مسهد يمثل صانع الاختام اثناء العمل ، وهذا المشهد
منفذ في زمن السلالة المعدية السادبة
(٢٢٩٠ ق٠م ــ ٢١٣٥ ق٠م)

الفخار
علم مساعد للتاريخ الأثري

من المعروف أن الفخار يصنع من الصخور النارية أو بقاياها التي تخلفت عن عملية التحليل الطبيعي بالماء وثاني أوكسيد الكربون ، حيث يقوم الصانع بجمع هذه المواد ثم يحولها الى أشكال فخارية مختلفة الاشكال ، والانواع حسب الغاية التي تصنع من اجلها ثم تعرض هذه الاشكال الى الحرارة ، التي بدورها تحولها الى شيء يشبه الصخور

وتشير الباحثة دورا بيلينكتون أن جميع هذه الاشكال الفخارية ، بغض النظر عن زمانها ومكان صنعها يمكن ردها الى ثلاثة أصول رئيسية: من حيث التركيب •

١ ــ الاواني الفخارية الترابية ، وتتميز بالليونة ، ولها قابلية تخديش عالية بالسكين ، كما أنها تتميز بالعتمة (أي اللاشفافية) وبوجود شقوق ومسامات أو حبيبات ، ولهذا السبب فهي ترشح الماء ، واذا وضع مقطع منها على اللسان فانه يلتصق به •

٢ ــ الاواني الخزفية الحجرية ، وتتميز بالصلابة ، أي لا يمكن خدشها بالسكين ، وهي لا ترشح الماء ، كما انها متجانسة التكوين وزجاجية التركيب ، والخزف الحجري أثقل من الفخار الترابي ، ويميل الى الزرقة أو الاخضرار في اللون •

٣ ــ أواني الخزف الصيني (البورسلين) وتتميز أيضا بالصلابة ، وبالتركيب الزجاجي ولا ترشح الماء ، كما انها شافة أي نصف شفافة ، تسمح بمرور الضوء من خلالها ، وتمتاز بالثقل واللون المائل الى الزرقة أو الاخضرار •

والفخار يعتبر فنا جميلا ومثيرا في ذات الوقت ، وايضا علما قائما بذاته ، له نظرياته وتطبيقاته العملية ، كما يعتبر صناعة عريقة ذات تقنية دقيقة عالية ؛ لما أضافت عليها الحضارات المتعاقبة التي مرت عبر العصور التاريخية القديمة منها والحديثة •

ويرى الاستاذ عدنان خالد : ان الفخار كان قديما ، يقيم تقييما مقتصرا على مدى الوظائف النفعية التي يمكن أن يتكيف لها ، ولكن بمرور الزمن ، ومع تطور نظرة الانسان الى الاشياء راح يضفي مسحة جمالية على الاشكال الفخارية ذات الوظيفة الجمالية البحتة ، فكان مولد فن الفخار بعد أن كان صناعة نفعية وحسب ، الا ان تطور هذا الفن لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد استمر في التوسع والتشعب حتى كان في أواخر حضارة البابليين والفرس والرومان علما فريداً له اساتذة وعلماء متخصصون فيه •

وعلاقة الفخار بعلم الآثار علاقة وثيقة ، مترابطة ، متكاملة ، فالفخار باقترانه بالمعروف أو المؤرخ والقابل للتأريخ ، يعطينا دوما آفاقا جديدة في المعرفة والبحث •

وقد أشار الدكتور فرانكين من خلال دراسته الشاملة عن صناعة الفخار عبر العصور التاريخية في حوض الفرات الى اهمية الفخار في اغناء الدراسات الاثرية ، فعلماء الآثار يعتمدون الاواني الفخارية التي يعثرون عليها خلال حفرياتهم للتعرف على حضارة الشعب الذي قام بصنع هذه الاواني •

وحكاية الفخار مع قطرنا العربي السوري حكاية قديمة قدم

الحضارات في هذا القطر .. فتشير الدلالات الاثرية أن الفخار بــدأ باستخدامه في سورية وفي موقع رأس الشمرا (أوغاريت) منذ الالف السادس قبل الميلاد ، حيث وجدت فيها بعض الكسر الفخارية ذات اللون الاسمر اللماع .

وهو أقدم ما عرف من فخار في شمال سورية وبلاد الاناضول ، كما يقول الاستاذ عدنان الجندي .. كما وجد في هذا الموقع الاثري الهام بعض القطع الفخارية المتكسرة عرف من خلال المقارنة انها متأثرة بفخار بلاد ما بين النهرين ، وهذه القطع يعود تاريخها الى الالف الخامس ويوجد بينها تشابه مع فخار تل حلف .

ونشير انه اكتشفت في سورية في مواقع المريبط وبقرص وتل الرماد نماذج فخارية يعود تاريخها الى تلك الفترة الموغلة في القدم .

الفخار في سورية رافقه تطور ، وهذا التطور نلحظه بصورة واضحة في فخار الالف الثالث المكتشف في أوغاريت (رأس الشمرا) فهنا اصبح ملمعا مطليا بطبقة سوداء من الخارج ، وطبقة حمراء من الداخل . بينما فخار أوغاريت اصبح في النصف الثاني من الالف الثاني يتميز بالبساطة، كما ظهر فيه التأثير القبرصي والميسيني ، وقد تجلى ذلك في أنــواع الطاسات ذات القعر المزين بخطوط متعارضة ، وفي الاكواب المسماة « ريتون » التي لها شكل القرن أو القمع والمزينة بالاشكال الحلزونية

والحيوانات والاسماك ، وفي الجرار الكبيرة المزينة بالعربات والحيوانات والطيور ، وبالاشكال الحيوانية التي صنعت بشكل رأس أسد أو شكل ثور أو سمكة ..

وهـذه النماذج نشاهدها في معروضات المتحف الوطني بدمشق (جناح الآثار السورية القديمة) ومملكة ماري (تل حريري) التي تقع على ضفاف الفرات ، فقد اعطتنا بدورها فيضا من القطع الاثرية الفخارية، تدل على الرقي والتقدم التي كانت تتمتع بـه هـذه المملكة في صناعة الفخار في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد .

وقد اعتبرت هذه النماذج من قبل علماء الآثار الذين ساهموا في الكشف عن آثار هذا الصرح الاثري الهام ، من اهم الدلائل المميزة المحددة لتاريخها ..

كما أن العرب الآراميين اشتهروا بابداعهم في صناعة الفخار المطلي بطبقة حمراء الى درجة جعلت الباحثين الاثريين يجدون صعوبة في تمييزه عن الفخار الهلينستي الذي تميز بنعومة ذراته ونظافتها ، ونجد ذلك جليا في معروضات جناح الآثار الرومانية واليونانية والبيزنطية (المتحف الوطني) وكان للعرب بعد الاسلام دورهم الكبير في هذه الصناعة ، فقد أخذوا يتفننون بتزيينه بالحز والوخز والقطع واضافة الحبيبـات والاشكال المجسمة والتلوين ، وقـد ابتدعوا صب الفخار بالقالب ، فأحدثوا على سطحه زخارف بارزة ، نباتية وحيوانية ، وكتابية وهندسية في غاية الجمال والدقة .

مـن خلال هـذا العرض البسيط ، نرى أن الزخارف والاشكال الفخارية التي نفذها الفنان السوري كانت في البداية بسيطة ، نفذها صانعها دون أن يراعي تصميما مسبقا ، ودون أن يقصد شكلا معينا ، أو يقيد نفسه بقاعدة ..

وكان عمله هذا كما يشير الدكتور محمد أبو الفرج العش ، الذي تدل عليه الشواهد العديدة المحفوظة في متحفنا الوطني ، يأتي عفويا منظما ، يراعي فيه حسن توزيع العناصر المبسيطة المتكررة أو المماثلة ، رغم ان انتاجه هذا لا يخرج عن عفو الخاطر وسرعة البديهة •• ولكن هذا لا يخرج عن التأثر بعناصر البيئة ، والاعمال الفنية الشائعة فيها ، كان هذا في العصور القديمة ، ثم سادت المدرسة الكلاسيكية في العصور اليونانية والرومانية والبيزنطية في سورية ، فطغت على كل عمل فني آخر ، وطبعته بطابعها ••

وظل الحال هكذا حتى بداية العهد الاسلامي ، حيث تطور هـذا الفن تطورا عظيما تبعا لتقدم البلاد ونضوجها فكريا واجتماعيا •

من خلال هذا كله ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل المواد الحضارية في مكان الكشف الاثري •• فلا مجال للشك أبدا بأن الفخار هو أكثر هذه المواد تفسيرا بالنسبة لعلماء الآثار •

صحيح قد مضت حقبة طويلة من تاريخ الانسان لـم يكن يعرف خلالها كيف يصنع الفخار ، ولكنه ما أن صار جزءا من المركب الحضاري، حتى بدأ يعكس أكثر من أية مادة أخرى التغيرات والتأثيرات المتعاقبة التي كانت تحدث ضمن المجموعة الاجتماعية •

يقول الاستاذ جيمس كريفين : أن صنع الفخار لامر سهل وكسره سهل أيضا ، ان شكله ، وصقل سطحه ، وتزيينه ، والمواد التي كـان يصنع منها ، كلها تتفق مع أسلوب الجماعة ، ومع ذلك فقد كانت هذه الاواني الفخارية صناعة يدوية ، وكل آنية تختلف عن الاخرى ، صناع

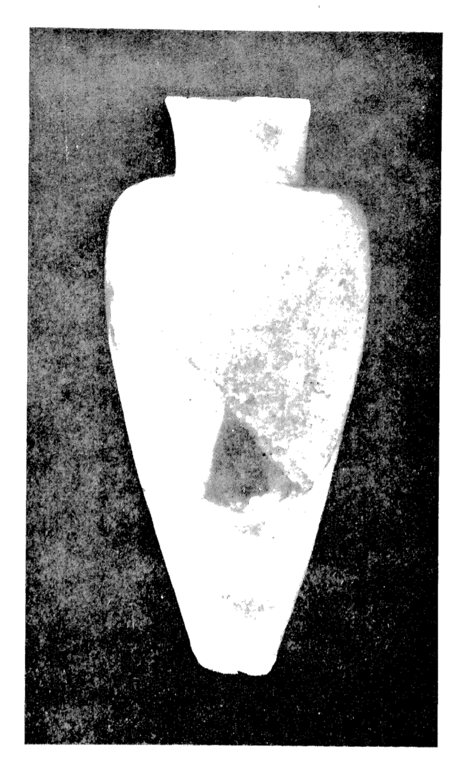
متنوعون (وبواضح أن النساء هن اللواتي صنعن معظم الاواني الفخارية البدائية) يختلفون الى حد كبير في مهارتهم وابداعهم وقدرتهم على الابتكار ، ثم اقتبسوا افكارا جديدة بعد اتصالهم بمجموعات بشرية ، أخرى ، وهكذا فقد كان هنالك دوما قوتان في عمل دائب ، المحافظة والتجديد ، وان التغيير الذي طرأ على الفخار حدث ببطء شديد ، حتى بالامكان التعرف على هوية الاواني الفخارية بالتحديد ، بل وحتى قطعها المكسورة يمكن نسبها الى منطقتها الخاصة التي صنعت فيها من العالم ، وأيضا يمكننا تحديد الفترة الزمنية التي تعود اليها هذه القطعة بشكل قاطع ، ويمكننا أيضا تحديد المجموعة الحضارية التي تنتمي اليها.

ان دراسة الفخار شيء بالغ الاهمية ، ولا يزال هناك الكثير منها بحاجة للدراسة حتى ان بعض علماء الآثار يقضون تقريبا كل حياتهم العلمية في دراسة هذه الناحية من الآثار .

ومن هنا ندرك الاهمية البالغة التي يلعبها الفخار كعلم مساعد يسهل بواسطته وضع الموقع الاثري ضمن التاريخ الحضاري للمنطقة .



ابريق فخاري على شكل قنفذ ـ من موقع جبل عروده
٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠ ق٠م



فخار من موقع تل قناص ٣٥٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق.م

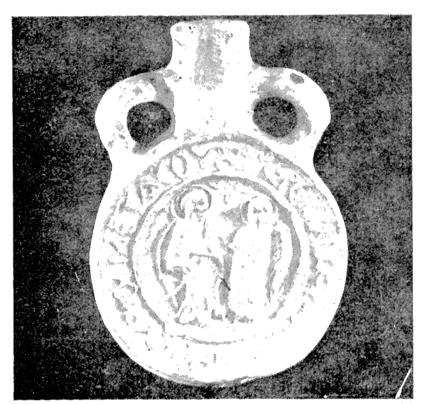


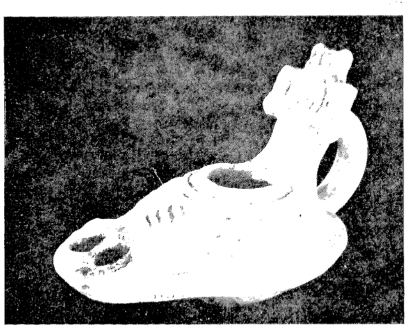


فخار اوغاريتي ١٤٠٠ ق٠م



اناء فخاري اوغاريتي ـ مسيني ١٤٠٠ ق٠م





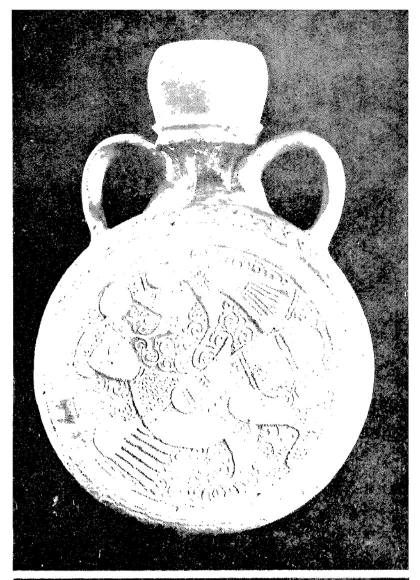
سراجان فخاريان من جنوب سورية

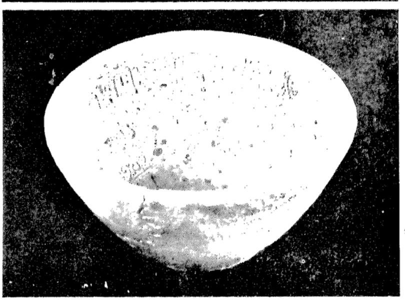
٦٠٠ ـ ٧٠٠ ميلادي





اناءان فخاريان من العهد العربي الاسلامي
مكتشفات الرقة (الرافقة)





الفخار العربي الاسلامي ـ من مكتشفات الرقة

أوغاريت

الأدب والملاحم والأساطير

في السنوات القليلة الماضية : قدمت لنا المكتشفات الاثرية ، التي تمت في مواقع كثيرة من قطرنا العربي السوري ، وثائق حضارية هامة ، أظهرت ترجماتها عن تراث انساني رفيع المستوى ، وغدت هذه الترجمات موضع اهتمام المؤرخين والمفكرين والميثولوجيين واللغويين ، وأهل الادب والفن وعلم الاجتماع والاقتصاد وغير ذلك ...

لقد كانت هذه الوثائق الطينية ، المكتوبة بخط مسماري ، غنية بموادها ومحتواها على الرغم من أن القسم الاعظم منها لا زال ينتظر الترجمة والنشر . ويبدو واضحا أن جميع أنواع النصوص قد وصلت الينا سليمة ، مثل : الاساطير والخرافات والطقوس ، والترانيم والصلوات ، والكتابات الملكية ، والكتابات على القبور والرسائل والقوائم والمعاهدات والعقود ، وغيرها كثير ...

والقليل من هذه النصوص يمكن أن نسميه « بالادب » حسب المفهوم المتعارف عليه في أيامنا هذه ... وكما نعلم فان أهم موقع أثري لمصادر التراث السوري في الالف الثالث قبل الميلاد هو تل مرديخ ـ ايبلا ـ فمن بين الرقم المسمارية المكتشفة هناك ، عدد من الاعمال الادبية التي لم يتم نشر الا القليل منها حتى الآن ، ولذلك لا نستطيع تقدير اهميتها الفنية ، أو اعطاء فكرة واضحة عنها .

والمجموعة الثانية من النصوص الادبية ، قدمتها لنا مملكة ماري « تل الحريري » الواقعة على نهر الفرات الاوسط ، ويعود تاريخها الى الالف الثاني قبل الميلاد ، وهي كما يقول الانكليزي « جون هيلي » من زاوية الادب ذات أهمية ضئيلة .

وينطبق نفس الشيء على نصوص تل عطشانة ورسائل تل العمارنة التي اكتشفت في مصر ، ويعود تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وفيها الكثير من الامور المتعلقة بسورية مع الاشارة أن رسائل تل العمارنة فيها مقاطع أدبية جميلة .

ان المصادر الاساسية للادب السوري القديم ، اكتشفت في أوغاريت ، رأس الشمرة ، وان فكرة الرقم الطينية المكتشفة في هذا الموقع الحضاري الهام ، أمدت العلماء بنصوص أدبية رائعة يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد جعلت هذه النصوص أحد العلماء يقول عن أوغاريت : « انها عاصمة مملكة حضارية ، وفكر انساني ، اعتمد ابداعها الحضاري على أهمية الكلمة والحكمة وفضيلة العمل الانساني » .

لادب أوغاريت قيمة تاريخية عظيمة الشأن ، فله قيمة دينية هامة ، وخاصة في مجال الدراسات التوراتية ...

ولهذا الادب قيمة اجتماعية، فهذه أول مرة تتوفر للباحث والدارس والمؤرخ ، مصادر أصيلة تصف لنا المجتمع الكنعاني (العائلة ، الاعياد، الولائم ، الاعراس ، المآتم ، العادات ، العرف ...) وأهم من هذا كله قيمة هذا الادب فنيا ...

عن ذلك يقول الدكتور أنيس فريحة في كتابه « ملاحم وأساطير من أوغاريت »[1] : ليس بمستبعد أن تكون هذه الملاحم والآساطير ، أصلا ، تمثيليات فصلية ، والواقع أن ملحمة « مولد السحر والغسق » أو مولد الآلهة الجميلة الوسيمة ، هي تمثيلية ، لان التعليمات التي

تصدر فيها للجوقة وللممثلين تشير بوضوح الى أن تمثيلا على مسرح كان يرافق موسم تلاوتها الجماعية ، نعم ، ان ما وصلنا من هذه الملاحم والاساطير ناقص ، ومشوه ، وفي أحيان كثيرة غامض المعنى ، وغامض الاشارة ، ولكن معالمها ، وخطوطها الرئيسية تشير بوضوح الى أنها كانت يوما تمثيليات فصلية تمثل ، أو تتلى في اجتماعات عامة ، احتفاء بمقدم فصل ، أو احتفاء بذكرى •

من أهم أساطير الادب الأوغاريتي ، أسطورة الاله « بعل » اله المدينة الرئيسي ، وتتكون من عدد من القصص التي تكهن علماء الآثار واللغات القديمة ، أنها جمعت لاحقا لتصبح كلا واحدا ، وقد ترجم هذه الاسطورة أكثر من عالم ولغوي ، وأحدثها ترجمة الاستاذ « جبسون التي اعتمدها الانكليزي ، جون هيلي » ، يقول عنها[٢] :

كتبت قصة بعل ويم كالقصص الاخرى ، بأسلوب شعري يتميز بتكرار الابيات أو الاجزاء وتبدأ في شكلها الذي حفظ لنا ، بأن ايل زعيم الآلهة يصدر أوامره الى اله الصناع ، ببناء قصر ليم ، وهذا التصرف يرمز الى اعطاء الملكية الى — يم — ويبدو أن سيطرة يم ليست بمنجى من الخطر ، فينصحه ايل أن يطرد « بعل » حتى يسلم وتستتب له الامور لكن اله الصناع يقف الى جانب بعل ويهدد يم فيطالب الاخير بأن يرسل ايل بعلا اليه ، فيوافق ايل على ذلك بالرغم من حنق بعل ، وبعد فجوة في النص الاصلي ، يوصف النزال بين بعل ويم الوحش البحري الضخم بأسلوب درامي ، ولا يكون بعل في البداية ناجحا ، غير أن اله الصناع يعطي بعلا سلاحين سحريين :

« وتطير الهراوة من يد بعل كالنسر من أصابعه

وتضرب رأس الامير يم (البحر)

بين عيني النهر (يم) القاضي

فيترنح ويسقط الى الارض

ترتجف مفاصله ويتكور جسمه ... »

يهزم يم ويقتل ويتوج بعل ملكا ، يحلل جون هيلي النص ، فيقول من غير الصعب التعرف في هذا النص على خلفية العبادة الدينية، أو على واقع حياة محدد على الرغم من أننا لا نملك معلومات حوله ، فبعل يمثل سلطة النظام المستقر ، وهو قادر على أن يضع حدا للبحر ووحوشه .

وفي المأثورات الدينية الاخرى ، يرتبط هذا مع خلق العالم ، ويشابه هذا أساسا الاسطورة البابلية عن انتصار الاله مردوخ على « تيامات » ويعتبر خلق العالم عبارة عن سيطرة على فوضى الكون التي كانت لا تزال قائمة .

ودلت دراسات كثيرة عن النصوص الادبية الاوغاريتية ، على عواطف وجدانية وتأملات باطنية ، وتجارب حياتية ، تتميز بقوة التعبير الفكري ، والتصوير الذهني والاسلوب النقدي ، فمثلا هناك أجمل وصف أدبي عاطفي كتبه اديب أوغاريت، معبرا عن عاطفته نحو أمه ، وقد أورده الاستاذ بشير زهدي في مقالة عن « أوغاريت والفكر » على الشكل التالي(٣) :

أمي ، كنوز الأفق ، غزال الجبل . ونجم الصباح المتألق ، وحلي ابنة الملك السائحة بفتنتها ، وتمثال الرخام على اللازورد ، وروح العاج الكامل المملوء بالفتنة ••• أمي هي المطر في الوقت الجيد ، وأول ماء الزرع والمحصول الوفير والقمح الرفيع ، وثمار الربيع ، ومنتـــوج نيسان ، والجدول الناقل للمياه العذبة الى السهل •

وفي الادب الأوغاريتي نصائح على شكل طرفه (أنظر مجلـــة الحوليات الاثرية السورية لعـــام ١٩٦٤) مثل : لا تتخذ للزواج فتاة شاهدتها في عرس ، ان الفتاة القبيحة تتدثر في الاحتفالات ، بالثـــوب الجميـــل •

ومـــن يطلع على ترجمة « ملحمة كيريت » لاشـــك أنـــه سوف يتخيل نفسه أمام عمل فني مسرحي رائع ، تدور وقائعه وأحداثه وفق خطة فنية ، وحبكة وتصاعد درامي ، أعدها مؤلف مسرحي مبـــدع خـــلاق •••

هـــذه الاسطورة الادبية الجميلة ، وصلت الينا مدونة على ثلاث لوحات طينية ، كانت محطمة الى شقف فأعيد تركيبها بناء على قراءتها، وبناء على سياق الحوادث فيها •

يقول ملخصها[٤] :

كان كيريت ملكا صالحا ، ولكنه أصيب بعائلته وأهله ، ولم يكن له ولد يرثه ، فسأل الآلهة أن ترزقه ابنا ، فعطف عليه الاله « ايل » وأمره أن يجهز جيشا كبيرا ، وأن يقوم بغزو آدوم بلاد الملك فابل ، فهناك عروس تليق به ، هي حورية بنت فابل «التي جمالها جمال عناة، وجسمها حسن عشتروت » وبعد مسيرة ثلاثة أيام ، وصل الى مزار « عشيرة »

الهة صور وصيدا فنذر اذا فاز بحورية زوجة أن يقدم لها هدية من الذهب والفضة وتتابع الاحداث ، ويفوز كيريت بحورية ، وخلال سنين ولدت له حورية عددا من الاولاد ، ولكن كيريت نسي أن يفي نذره لعشيرة فقررت الانتقام منه ، وذلك بانزال المرض عليه ، وأشرف كيريت على الهلاك ، فعطف عليه ايل ، فأرسل له من أعطاه ماء الختمية ، فزايلته الحمى وعادت اليه شهية الطعام ، وعاد ليزاول أعمال الملك . وبينما هو جالس على العرش واذا بابنه يدخل عليه ويطلب اليه أن يتخلى عن السلطان لانه عاجز ومريض ...

فغضب كيريت ، وأخذ يستنزل اللعنات على ابنه : « ليكسرن حارن ـ اله الموت ـ رأسك ، لتحطمن عشتروت ، هامتك » .

وهنا ينتهي الحدث ، اذ لم يعثر على تتمة الاسطورة .

من خلال هذه اللمحات الخاطفة عن هذا الادب الأوغاريتي الجميل، وهذا غيض من فيض ، ندرك مدى أهمية أن يتعهد هذه الاساطير والآداب ناقد وشاعر ودارس ، ينظر اليها فنيا ، ويعيد صياغتها في قالب فني جديد ، ولاشك سوف نجد أنفسنا أمام روائع (مسرحية وتمثيلية وشعرية وأدبية) في غاية الجمال والرفعة والابداع .

هوامش :

---

١ ـ ملاحم واساطير من اوغاريت ، د. أنيس فريحة ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص / ٩٥ / .

٢ ـ سورية ، أرض بعل ، د. جون هيلي ، دار فود فرتس للطباعة ، فيينا ، ص/٣٥٢/.

٣ ـ مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، المجلد التاسع والعشرون والثلاثون ، ص / ٢٠ / م

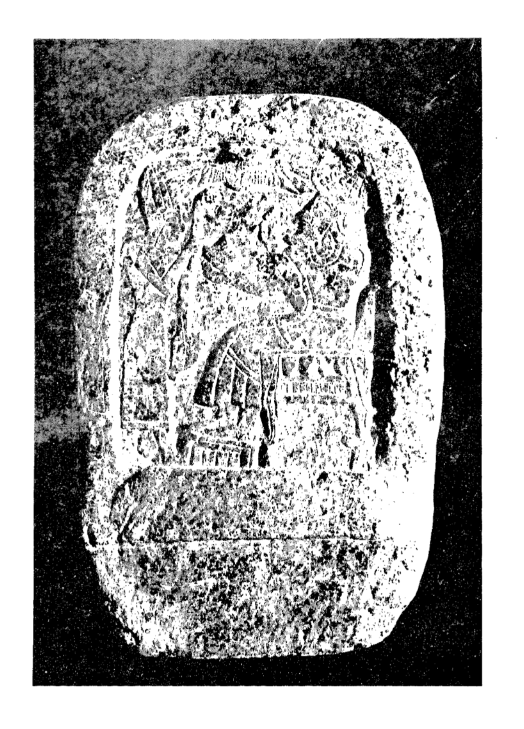
٤ ـ ملاحم واساطير من اوغاريت ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .



تمثال اله اوغاريتي من البرونز والذهب ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م



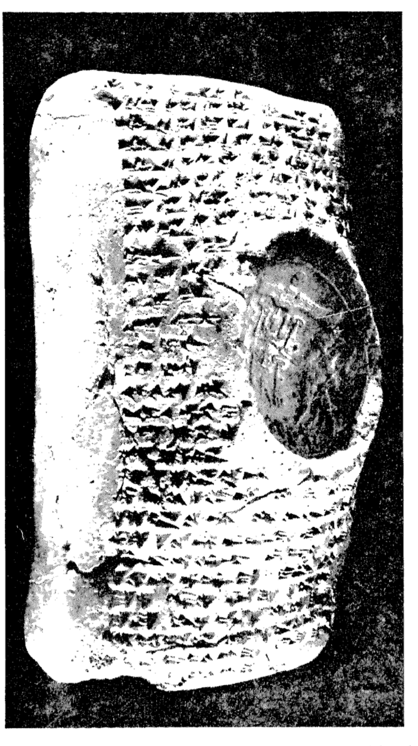
تمثال اله اوغاريتي من البرونز والذهب ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ ق٠م



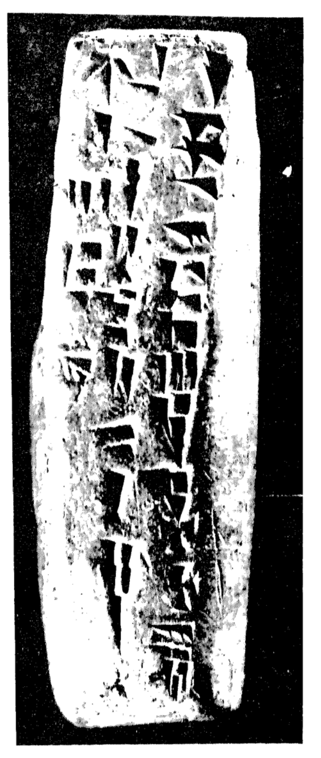
نصب اوغاريتي يصور اله ايل ١٢٠٠ ق٠م



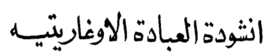
نصب حجري اوغاريتي ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م



لوح فخاري اوغاريتي يتضمن معلومات عن طلاق الملك اميشتامرو
الثاني من ابنة ملك عمورو / ١٣٥٠ / ق٠م



ابجدية راس الشمرة ، اقدم ابجدية معروفة في العالم


انشودة العبادة الاوغاريتيه

البحث عن جذور تاريخ التدوين الموسيقي يتسع ليشمل العالـم القديم بأسره ، فما اكتشف من آثار موسيقية كانت مدفونة في بـلاد الرافدين ومصر وسورية والهند والصين ، يشير بأن البشرية قد عرفت تدوين الموسيقى منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، وربما أقـدم من ذلك التاريخ بكثير •

قطرنا العربي السوري عرف الاهتمام بالموسيقى منذ فترات زمنية موغلة في القدم ففي ترجمات أرشيف القصر الملكي الذي أماطت عنـه مكتشفات تل حريري « ماري » الواقع على الفرات الاوسط •

وردنا ترجمة لرقيم مسماري يعود الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، يفيد بأن الملك شمس حدد قد أوعز لابنه بأن يلحق ابنة الملك ماري « ياهروم ليم » بمدرسة الموسيقى التابعة لقصره في « شباط انليل » شاغر بازار ـ ليقوم بتلقي الثقافة الموسيقية وليجيد العزف على آلاتها •

وتشير الدلائل ، أن الموسيقى كانت في تلك الفترة الزمنية تتركز حول المعابد لانشاد التراتيل والطقوس الدينية • ولكن هنالك دلائل كثيرة تشير الى خروج الموسيقى عن هذه الاغراض ، وخاصة في المناسبات العسكرية أو احتفالات النصر ، أو اقامة الاعياد والافراح وغيرها •

وتعتبر أنشودة العبادة الحورية التي اكتشفت في أوغاريت « رأس الشمرة » على الساحل السوري من أقدم وأمتع المدونات الموسيقية التي اكتشفت في العالم القديم ، وقد عثر عليها مدونة على رقيم فخاري مكون

من ثلاثة أجزاء مهشمة بعض الشيء ، وهي من مقتنيات المتحف الوطني بدمشق • وقد استرعت هذه المدونة اهتمام العديد من علماء الآثـار والتاريخ والميثولوجيا ، فقد قام العالم الاثري « عمانويل لاروش » من جامعة ستراسبورغ بفرنسا ، بدراستها وترجمتها وقد نشر عنها مقالة هامة في المجلد الخامس من مجلة « أوغاريتيكا » الصادرة بالفرنسية ، وقد أفادتنا ترجمتها بأن هذه الانشودة كانت مخصصة لآلهة اورخيا ، ولعلها اورفة كما يقول الاستاذ فاروق العمري •

الجزء العلوي من الرقيم كتب باللغة الحورية نسبة الى الحوريين الذين حكموا شمالي العراق وسورية منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، وحتى القرن الخامس عشر ق•م• هذا الجزء يحتوي على كلمات يدور محورها حول الآلهة « نيكال »زوجة اله القمر ، ويتبين مـن كلماتها عبارات « محبوبة القلب » و « أنت تضمرين لهم الحب في القلب » و « انما ولدنا منك » وتتميز بأسلوب شاعري رهيف •

أما الجزء الاسفل من الرقيـم الفخاري ، فيضـم « النوطه » الموسيقية للاغنية مدونة باللغة الأكادية ، وبنظام الابعاد الموسيقية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين •

وقد حاول العالم « وولستن » أن يفسر هذه اللوحة « الانشودة » فاستخدم طريقة تشبه الى حد ما ، الطريقة المتبعة في الموسيقى العربية التقليدية ، لكنه اصطدم بعقبتين أساسيتين هما :

١ ـــ عدم تطابق كلمات الاغنية مع اللحن تماما •

٢ ـــ لم يتمكن من ايجاد التفسير المناسب لبعض مقاطع الرقيم

الفخاري ويشير العالم الموسيقي العربي السوري « راوول فيتالي » الى هـذه النقطة فيقول : « بأن وولستن لـم يحاول أن يوفق بين عدد النوطات وعدد المقاطع الواردة بالنشيد باعتبار أن هذا غير مألوف في الشرق » .

الدكتورة « آن كيلمر » لم تقتنع بالتفسير الذي وضعه « وولستن » فأعادت تنسيق مقاطع كلمات الانشودة مع مقاطع اللحن المـدون ، فوجدت في محاولتها تطابق بين الكلمات مع مقاطع الاغنية كما أن لحن الاغنية عند عزفه ، قد بدا مقبولا وملائما . ولكن الاستاذ راوول فيتالي اعتبر هذه الطريقة التي قامت بها كيلمر ، طريقة بدائية جدا بالنسبة لقوم كانوا يعرفون السلم الفيثاغوري ، وأشار بأن كيلمر قد اهتمت جدا بالتوافق بين عدد النوطات وعدد المقاطع ، غير ان تفسيرها معقد جدا .

في معرض وصف هـذه اللوحة « الانشـودة » يقول الاستاذ فيتالي[1] « هي نشيد كتاب باللغة الحورية ، مؤلف من أربعة أبيات ، تبدأ كتابتها على وجه اللوحة، وتكتمل على الوجه الآخر، تفصل النشيد سلسلة كلمات يلي كل واحد منها رقم ، وهذه الكلمات هي أسـماء الابعاد الموسيقية عند « الأكاديين » .

لقد تبلورت أهمية هـذه اللوحة « الانشودة » عندمـا توصل الاستاذ فاروق العمري ، الى أن السلالم الموسيقية هي شرقية الاصل ، من بلاد بابل وسورية ، وعليها استندت السلالم الاغريقية السبعة التي تشكل بدورها أساس السلم الموسيقي الغربي[2] ، وقد اعتمد العمري في بحثه الذي نال عليه درجة الدكتوراه ، على خمسة رقم طينية تعود

الى الالف الثاني قبل الميلاد ، ورقيم أنشودة العبادة المكتشف في مملكة أوغاريــت •

وتقديرا لاهمية هذه الانشودة، فقد قامت جامعة «لوس انجلوس» بالولايات المتحدة الامريكية ، منذ فترة قريبة ، بعزفها وتسجيلها على سطوانة الحجم الكبير ، متضمنة بعض الشــروحات والتعريفــات اللازمة باللغة الانكليزية ، كما أنها تتصدر حاليا « معرض كنوز الآثار السورية» الذي يقيمه قطرنا في عواصم المدن الاوربية والامريكية، حيث تبث الاسطوانة موزعة على كافة قاعات المعرض وتلاقي الاعجاب والتقدير من كافة الزوار •

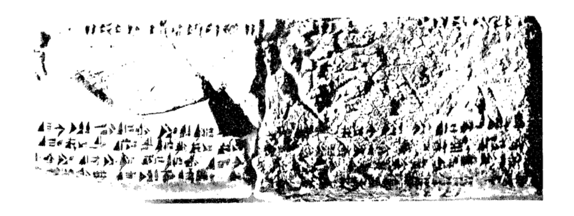
من خلال هذه اللوحة « الأنشودة » ندرك ان أوغاريت ما زالت هي السباقة ، وما زالت حديث الناس في كافة أنحاء العالم رغم انقضاء ما يزيد عن الخمسين عاما من العمل الأثري فيها • ولا غرابة في ذلك فهي أول من أهدى البشرية أقدم أبجدية عرفها العالم ، وهي أول المواقــع الحضارية الهامة في قطرنا ، التي أثرت علماء التاريخ والآثار والميثولوجيا بمعين لا ينضب من العطاء ••

هوامش :

---

١ ـ اللوحة الاوغاريتية ح/٦ تفسير شويطها ، مجلة الحوليات الاثرية السورية ، المجلدان التاسع والعشرون والثلاثون ، ص / ٧٣ / .

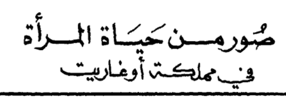
٢ ـ لقد ادى هذا الاكتشاف ، على حد قول الدكتورة كيلمر ، الى احداث تغيير اساسي في تحديد عمر وتاريخ الموسيقى الغربية ، وانها اقدم بالف عـام مـن اقدم قطعة موسيقية عرفها الغرب ، على أساس السلم الموسيقي الذي اقامه فيثاغورس عام ٥٠٠ ق.م .



الوجه الاول لانشودة العبادة الاوغاريتية ١٤٠٠ ق٠م



الوجه الثاني للانشودة .


صور من حياة المرأة
في مملكة أوغاريت

لقد حملت الينا مكتشفات أوغاريت ــ رأس الشمرة ــ الكثير من المعاني والدلائل والمعطيات المادية والمعنوية التي تظهر بجلاء ووضوح ، من خلال الشواهد الاثرية ، والنصوص الكتابية ، المدونة على الرقم الطينية ، والمنحوتات الفنية ، مكانـة المرأة ودورها الهـام في المجتمع الاوغاريتي على الساحل السوري ، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد •

ان كثرة الرقـم المسمارية ، التي اكتشفت في أوغاريت ، وتنـوع نصوصها وموضوعاتها التي تتعلق بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والدينية ، سمحت لنا بالتعرف على المرأة ، وعلى جوانب كثيرة من حياتها وعلاقتها بالمجتمع ، والدور البناء الذي لعبته من أجل نهضته ورفع شأنه ، لذلك ليس غريبا ، أن يجد علماء الآثار واللغـات القديمة،ترجمات لتلك النصوص،تبين لنا ما للمرأة من مكانة وتقديس•• فها هو أحد أدباء أوغاريت ، يكتب معبرا عن عاطفته نحو أمه[1] :

أمي ، كنوز الافق ، غزال الجبل ، ونجم الصباح المتألق ، وحلي ابنة الملك السائحة بفتنتها ، وتمثال الرخام من اللازورد ، وروح العاج الكامل المملوء بالفتنة •• أمي هي المطر في الوقت الجيد ، وأول مـاء الزرع والمحصول الوفير ، والقمح الرفيـع ، وثمار الربيع ، ومنتوج نيسان والجدول الناقل للمياه العذبة الى السهل ••

في أخبار الملك الكبير ، سلف الملك الاوغاريتي « نقمد » وهـي مدونة على خمس لوحات طينية مسمارية ، تتكشف لنـا الكثير مـن

المعلومات عن الحياة العائلية في المجتمع الاوغاريتي،فقد كان الحب يلعب دورا هاما في حياة الاوغاريتيين ، فالصلة السرية تعتبر سلوكا غير مشرف، وكانت النسوة يضعن في المناسبات ، على صدورهن بعض العقود والحلي الجميلة ، وللمرأة في الحياة العائلية الاوغاريتية ، تأثير كبير على زوجها، فتحمله على اتخاذ القرارات .

وكان الاوغاريتي يعتبر الولادة حدثا سعيدا ، يمكن أن يمحو اللعنات الالهية ، وكانت حدثا هاما الى درجة جداول المياه في خريرها كان عليها أن تنقل هذا الخبر .

والآلهة « عناة » هي التي كانت تعقد الخطوبة بين الجنسين ، والخطوبة بالنسبة للرجل أو للمرأة ذات تعبير واحد فيقولون : « الذين عقدت خطوبتهم عناة » والذين لم يتزوجوا على الارض فانهم يتزوجون بعد الموت .

ومن خلال قراءة نصوص أوغاريت ، نرى ان هذه اللوحات قد وضعت المرأة الاوغاريتية على الشكل التالي[٢] :

١ ــ نساء أوغاريت أشبه ما تكون بآلهة ، لانهن جميلات ، وعالمات ولانهن يعرفن كيف يحيين من سيموت .. وهناك الكثير من الاحكام والاوامر التي تدعو الى عدم الاقتراب منهن بأفكار سيئة ، ورفع اليد عن زوجة الغير وعدم التعرض لها ، لان الزوجة أشبه ما تكون بزوجة الاله ، وهي الشاهد على أسراره المقدسة ، وبيتها مقدس ، كالمعبد ، لانه مكان الاسرار المقدسة فهو شبيه ببيت الاله .

(انظر أخبار الملك الكبير التي كتبها كبير كهنة أوغاريت ايلي ميلكو)[٣] .

ويرى الاوغاريتي ان الحكمة على أفواه النساء : « فيجب أن نبتهل الى الله ليجعل شفاههن الحلوة كالرمان . الينبوع التي تتدفق منه التعابير الحكيمة المؤدية الى الرخاء » . وعندما نعانق المرأة يجب أن نضمها بشدة فتحت وطأة « حرارة الحرارات » نجعلها حاملا ، وعندئذ يجب أن نبتهل الى الله كيما يمنح الزوجة الحكمة المطلوبة فتضع للعالم « أمل الازهار » الذي تحمله .

وتدعو النصوص الاوغاريتية الى الامتناع عن مشاجرة المرأة الحامل ، الى تهيب ساعة الولادة ، وعلى الذين أرعبوا المرأة أن يهربوا .

ان المرأة التي تعذب أثناء الحمل يمكن أن تلد قبل أوانها ، في الشهر السابع ، أو تتأخر ساعات الخلاص ، فمن أحس بأنه ارتكب مثل هذه المعصيات يكون غير جدير بالعودة الى بيته .. انه يطرد الى الصحراء حيث يبقى فوق الصخور والاشجار سبع سنين .

وتدعو الاحكام الاوغاريتية الى التكاثر : « لان الشعب الذي لا يتكاثر هو شعب فارغ ، أشبه ما يكون بالرجل المطرود خارج البيت، وعلى العكس من ذلك يجب فتح الابواب أمام من ينجب » .

كما تدعو هذه النصوص الى العطف على المرأة العاقر لان ذلك دون ارادتها ، ولم تكتف بذلك بل : « وكل مساء علينا أن نقدم الى الفقراء الذين لم ينجبوا أولادا ، كيلاً من الخمر والخبز حتى يقتاتوا به ويشربوا

منه ، وذلك في حال عدم وجود من يعيلهم في شيخوختهم ، ولكن حذار من الاكثار من الخمر ، ان الخمر الذي نحتسيه مساء شبيه بالنار ، انه يسكر ويضعف ولذلك يجب الاقلال من شرب الخمر » •

أما الاساطير والملاحم الاوغاريتية الكثيرة ، فقد صورت لنا المرأة كثير من الاعجاب والتقدير والاهمية ، فالإلهـه « عشتار » نراهـا تهبط الى العالم السفلي ، لتعيد الحياة الى الاله « تموز » وتصعد به الى أن يعود الى الارض رونقها وجمالها، ولكي يعود الحب الى قلوب الناس ، والشمس (ش ف ش) هـي آلهة العدل ، لانها تعرف كـل شيء وتراقب كل حركة ، وتعرف كل ما يحدث على وجه الارض ، وهناك الإلهة « عناة » ، وشهر (الفجر) نجمة الصباح و « عنات » وغير ذلك من أسماء الآلهة النسائية(٤) ••

وفي المكتشفات الفنية المكتشفة في أوغاريت ، والمتمثلة بالكثير من التماثيل والمنحوتات المعدنية والعاجية ، نجد ان المرأة تحتل حيزا لا بأس به منها،فهناك ناب فيل كامل منحوت بشكل فني في غاية الدقة والابداع، نقش عليه رسم امرأة عارية بطولها الكامل « ربة الخصب والتوالد » ، تحمل بيديها ثدييها ، شعرها طويل ومسترسل على ظهرها ، ويبدو في انسياب الجدايل الدقة والاتقان •

وهناك أكثر من تمثال لربـة الحب ، تحمل بيدها زهرة اللوتس ، وباليد الثانيـة تمسك شارة الحياة ، وتمثال لامرأة لفت عباءتها ذات الأهداب ، حول جسمها بحيث تغطي الذراع الايسر كليا ، وتحت العباءة ترتدي المرأة ثوبا طويلا ، يصل الى العنق ، ويشده زنار من الاعلى ،

ويرى علماء البعثة الاثرية التي اكتشفت التمثال ، انه يعود الى الآلهة عشيرات « زوجة الاله ايل » .

أما التمثال العاجي ، الذي يمثل (امرأة تدق على الدف)(٥) فيعتقد العالم الاثري كلود شيفر انه يمثل الآلهة الاوغاريتية « عنات » ويعزز رأيه هذا بوجود نص ميثولوجي وجد في أوغاريت ، يأتي على ذكر عنات بوصفها عازفة على الدف .. وهذا الاهتمام المتنوع بالمرأة ، ان دل على شيء انما يدل على مكانتها ودورها العظيم في مجتمع حضاري غني بعناصره المختلفة ، منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

هوامش :

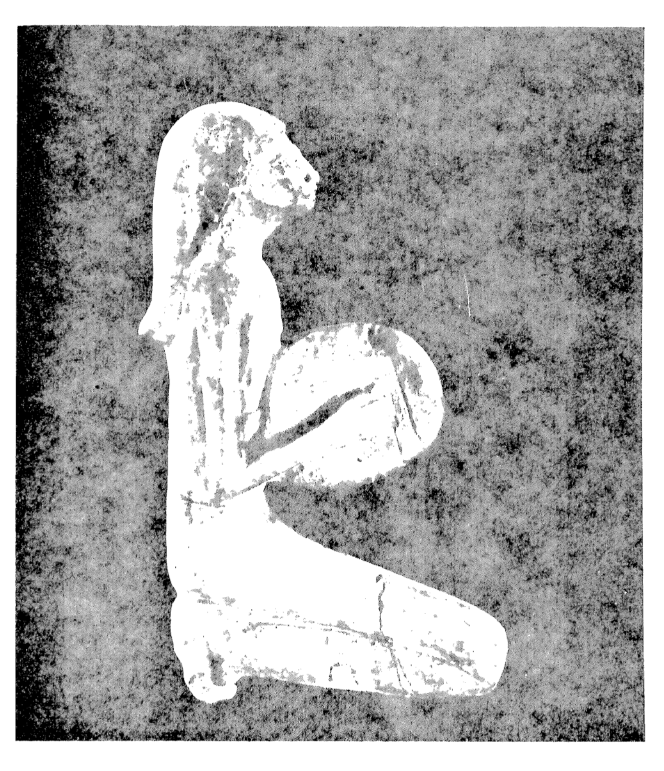
١ ـ اوغاريت والفكر ، مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، المجلدان التاسع والعشرون والثلاثون ص / ٢٠ / .

٢ ـ الدليل من النصوص الكنعانية ، بقلم كبير كهنة اوغاريت : ايلي ميلكو ـ ترجمة ودراسة : ديل ميديكو . ترجمة : مفيد عرنوق ، منشورات مجلة الفكر ، ص / ١٨٦ ـ ١٨٧ / .

٣ ـ المصدر السابق .

٤ ـ د. انيس فريحة ، ملاحم واساطير من اوغاريت ـ راس الشمرا ـ دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص / ٦٥ ـ ٦٦ / .

٥ ـ الآثار السورية ، دار فود فرتس للطباعة ، فيينا ، ١٩٨٥ ، ص / ١٥٣ / .



تمثال امراة اوغاريتية تدق على الدف ـ من ١٣٠٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م



تمثال رجل صغير يحمل وعاء فوق كتفه الايسر ـ اوغاريت ـ
راس الشمرة حوالي ١٣٥٠ ق.م



مدخل القصر الملكي في راس الشمرة (اوغاريت) ١٤٠٠ ق.م

طرائف أدبية من الرقم المسمارية

خلفت لنا النصوص والرقم المسمارية التي دونها أجدادنا القدماء على الطين المجفف موروثات كتابية وفنونا ثقافية متعددة تتسم بالاصالة والغزارة والتنوع يستدل منها أن أجدادنا لم يتركوا ضربا من ضروب الادب الا وكان لهم فيه صولة وجولة ..

فقد ألفوا القصص والاساطير والملاحم وجمعوا الامثال والحكم والنصائح ونظموا قصائد الحب والغزل والمناحات وأيضا تركوا لنا العديد من النوادر والطرائف البديعة التي ما زالت تتداول حتى عصرنا الحاضر .

فالترجمات الاخيرة التي تمت في السنوات الماضية لبعض الرقم المسمارية المكتشفة في قطرنا العربي السوري وبلاد الرافدين تشير الى انه قد كان عند سكان المنطقة القدماء من سومريين وبابليين وآراميين وكنعانيين وغيرهم قصص وحكايات طريفة ونوادر مضحكة يقصونها ويتندرون بها في مجالسهم وسهراتهم العائلية ومن خلال تتبع ما نشر في السنوات القليلة الماضية من ترجمات لهذه النصوص في العديد من المجلات والكتب المتخصصة يمكننا أن نستشف منها شيئا ولو بسيطا من جوانب هـذا الادب وقيمته الادبية والفنية وخلفياته الاجتماعية والسياسية وحتى ندلل على ذلك نورد بعض الامثلة الطريفة .

● جلست البعوضة على ظهر الفيل فقالت له : أخي هل آزعجتك بركوبي على ظهرك ؟! اذا كان الامر كذلك فانني سأنزل عند مورد الماء.

فقال لها الفيل : لم أكن أعرف أنك كنت جالسة على ظهري ‥ من أنت على أية حال ؟ وسوف لا أعرف عندما تنزلين ٠

● تبول الثعلب في البحر وبعد أن انتهى من فعلته فكر برهة وقال: هل من المعقول أن يكون كل هذا البحر من بولي ؟!٠

● همس الحصان في أذن الحمارة في ليلة عرسه وهو على وشك أن يتزوجها فقال : عسى أن تلدي مهرا عداء مثلي وعساه ألا يكون كالحمار يعاني من حمل الاثقال ٠

● كان أحد الكهان يقطع الصحراء في طريقه الى المدينة فأبصر بوحش كبير فارتعدت فرائصه خوفا وهرب منه بأعجوبة وعندما وصل الكاهن الى المدينة شاهد عند بوابتها تمثالا لوحش شبيه بالوحش الذي شاهده في الصحراء فاستجمع قواه ودنا من الوحش التمثال وصفعه على وجهه قائلا : ما الذي كان يفعله أخوك في الصحراء ؟!

● أراد الفأر أن يهرب من النمس « حيوان صغير شبيه بالقط له شهية لازدراد الفئران » فدخل جحر أفعى ولما رأى نفسه وجها لوجه أمام الافعى بادرها قائلا : لقد أرسلني الحاوي مع التحيات ؟!

هنا يحاول الاديب أن يصور لنا حال من يخرج من مأزق ليقع في مأزق آخر ٠

ومن المفيد أن نشير الى قطعة أدبية طريفة سومرية الاصل كتبت على لسان قرد الى أمه نقلها لنا الدكتور فاضل عبد الواحد علي عـــن

ترجمة قام بها الاثاري « كيرني » وملخص الترجمة : أن القرد كـان يتجول مع مروّضه بين مدينتي أور وأريدو ويبدو أن القرد كان يعاني من الطعام السيء الذي يقدم له فيقول : الى أمي لودي لودي •

قل :

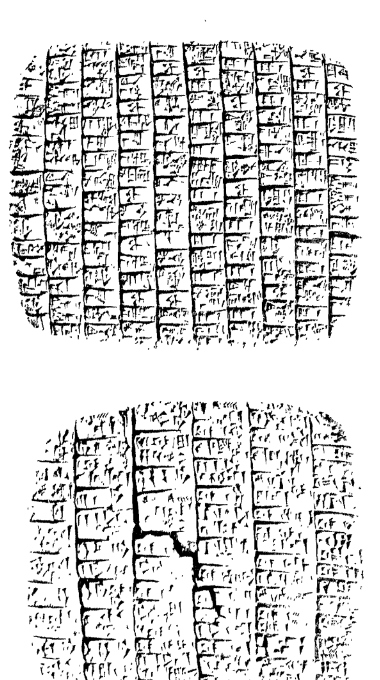
هكذا يقول اوكو ــ دل ــ بي
ان أور مدينة البهجة
« و » أريدو مدينة الرخاء
لكنني أجلس خلف القاعة الكبرى للموسيقى •
آكل النفاية
فعسى ألا أموت منها !
انني لم أذق طعم الخبز ولم أذق طعم البيرة
ابعثي لي برسول
على عجل !!

من خلال هــذه النماذج البسيطة التي قدمناها يمكننا أن ندوّن بعض الملاحظات حولها :

١ ــ نلاحظ أن معظم هذه النوادر كتبت على لسان الحيوانات كالقرد والفيــل والبعوضة والحصان وغيرها وهــذه الطريقة تذكرنا بقصص ونوادر « كليلة ودمنة » التي كتبها الفيلسوف الهندي « بيدبا » ونقلها الى العربية « عبد الله بن المقنع » •

٢ ــ البعض من هذه الطرائف ينمّ عن طباع وعادات الشعب •• البسيطة الميال الى الفكاهة والهزل والتندر •

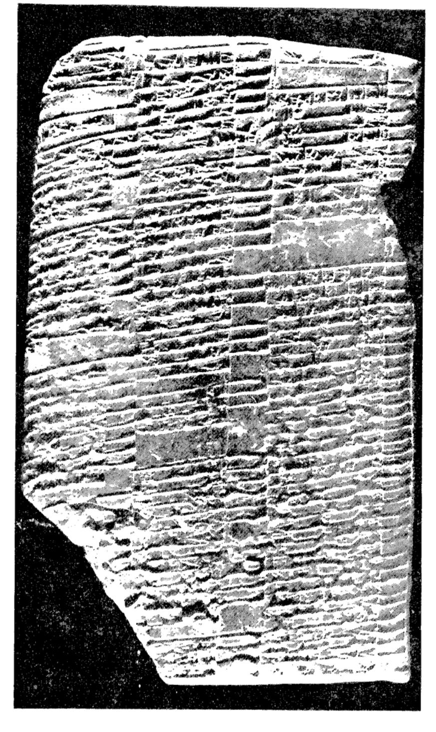
٣ ــ البعض منهــا يحمل الكثير مــن القيم الانسانية والحكم والامثال والدقة فيملاحظة الاشياء ونقد الاحوالالاجتماعية والسياسية•



رقيمان مسماريان من تل مرديخ ـ ابلا



رقيم مسماري من تل مرديخ (ايبلا) ٢٤٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق٠م



رقيم مسماري من ماري ـ تل الحريري

تـل النبي مند «قادش»

يقع موقع تل النبي مند « قادش » جنوبي بحيرة حمص في زاوية تتألف من نهر العاصي الذي يجري في اتجاه الشمال •

ونهر فرعي يرفده ويصب فيه من الجنوب الغربي • وتكمن أهمية هذا الموقع في أهميته الستراتيجية عند الطرف الشمالي للبقاع في المضيق المنخفض بين جبال لبنان الغربية ، وجبال لبنان الشرقية • وكل جيش في القديم ، يريد أن يتجنب الطريق الساحلي الضيق الذي تقطعه مجاري المياه ، عليه أن يمر في سيره نحو الشمال عبر البقاع ، وبالتالي عبر « قادش » •

لذلك فلا عجب أن تذكر لنا « مخلفات التاريخ » وخاصة لوحات تل العمارنة ، الكثير عن محاولات الفرعون المصري تحوتمس الثالث ، لاحتلال قادش مرات عديدة ، وارتداده عنها دون دخولها أو حتى محاصرتها ، ولكن في عام حكمه الثالث والثلاثين ، وخلال حملته الشهيرة على بلاد الشام ، والتي وصل بها الى كركميش على نهر الفرات ، هاجم قادش وحاصرها واستطاع دخولها ؛ وبعد هذا التاريخ حافظت قادش على ولائها لتحوتمس الثالث •

ونعلم من حوليات الملك الحثي « مورشيللي الثاني » أن «أتياكاما» ملك قادش ، قد اغتاله ابنه « آري يشوب » وجلس مكانه على العرش في العام التاسع لحكم مورشيللي ، عندما اجتاحت القوات الحثية بلانوفشي ، الى الشمال من حمص ووصلت الى أبواب قادش ، يعتقد

الدكتور علي أبو عساف ، في محاضرة له حول هذا الموضوع[1] : « من المرجح أن غرض هذه القوات كان احتلال قادش،وأسر ملكها«أتياكاما»، فأقدم ولده على هذا العمل لتجنب دمار المدينة ، ولم يمنع هذا العمل القوات الحثية من دخول المدينة ، فدخلتها وأسرت « آري تيشوب » واقتادته الى مورشيللي الثاني ، الذي كان يعسكر في بلاد اشتاتا الى الشرق من حلب على الفرات ..

هناك عامله الملك الحثي بلطف ، وثبته على عرش قادش ، معلنا ولاءه لاسياده ملوك حثي .

ويتابع الدكتور علي أبو عساف قوله[2] : « لم يرق هذا العمل لفراعنة مصر وحاولوا استعادة سيطرتهم على قادش وبلاد أمورو فحارب الفرعون سيتي الاول هذين البلدين وخلد ذكرى انتصاره على قادش بنصب أقامه فيها ، عثر عليه أثناء التنقيبات الاثرية » .

وقد طمع رمسيس الثاني الــى تكرار نجاحات أبيه سيتي الاول وتجاوزها ، وقد أدى هذا الى امتحان كبير للقوى بين مصر والحثيين ، وتقابلت قوات الطرفين في السنة الخامسة لحكم رمسيس الثاني . في عام ١٢٨٥ ق.م. وقــد وصف المصريون والحثيون المعركة بشكل دقيق ، واعتبر كل منهما ، أنه المنتصر ، وقد وصلتنا المعلومات عن هذه المعركة بالكلمة والصورة في صيغتين ، « القصيدة الطويلة » ، و « التقريــر الاخباري » القصير ، اللذين طلب رمسيس الثاني أن ينصبا في هياكل معبد الكرنك ، والاقصر ولابيدوس ومقام ضريحه وأبي سنبل ، بالاضافة الى نسخة الكتابة التي خلفها أحد الكتاب على ورق البردي ، وبهــذا

تكون معركة « قادش » كما يقول العالم الالماني « والترماير »[٣] : قد حظيت بأوسع وصف مفصل في كـل العصور القديمة السابقة علـى العصور الاغريقية الرومانية ، وكان يمكن أن تكون الافضل توثيقا لو أن المصادر الحثية تحدثت عنها أكثر قليلا .

فحتى الآن لم يعثر علماء الآثار واللغات القديمة في أرشيف وثائق بوغاز كوي « عاصمة الحثيين » الا نصا واحدا ، ويفهم منه كما يقول « والترماير » أن الحثيين أيضا قد ادعوا من جانبهم احراز النصر ؟!

من خلال هذا ندرك مدى أهمية هذا الموقع التاريخي ، لذلك كان لابد من اجراء بعض التنقيبات الاثرية فيه للتعرف على هويته ومعالمه ، فنقبت في التل المذكور بعثة أثرية فرنسية ، خلال عامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ ، وكان من نتائج الحفريات التعرف على أن الموقع يضم سويات سكنية يعود أبكرها زمنيا الى الالف الثاني قبل الميلاد ، وقد اصطدم المنقب بجدارين دفاعيين للمدينة ، دعـا أحدهما بالجدار الهيلنستي ، ودعـا الثاني بالجدار المعموري .

وكان من أهم المكتشفات ، اللوحة التذكارية للفرعون سيتي الاول التي أشرنا اليها سابقا .

ومنذ عام ١٩٧٥ ، تقوم بعثة أثريـة بريطانية برئاسة « بيتر بار » بأعمال التنقيب المنهجي في هذا الموقع ، وباشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف ، وقد أيدت أعمالها صحة أن يكون تل النبي مند هو نفسه موقع « قادش » .

وأن قادش كانت خلال عصور البرونز الحديث من أقوى ممالك المدن السورية ، وقد استهدفت مواسم التنقيب في هذا التل ، القاء الضوء على التاريخ القديم لوسط سورية . حيث أن هذه المنطقة لم تشملها الابحاث والحفريات الاثرية بعد بشكل كثيف ، علما أنها قد لعبت دورا هاما في الصلات والعلاقات التي كانت تربط حضارات بلاد ما بين النهرين مع حضارات الساحل السوري •

حول أعمال السنوات الماضية ، يقول بيتر بار[٤] : « لقد وقع اختيارنا على عدة نقاط من التل لاجراء الحفريات ، وفي أسفل الحفرة اكتشفنا سويات عصر البرونز الوسيط ، كما توضحت سوية العصر الحجري الحديث في التل على عمق / ٣٢ / مترا ، ولم نصل الى الارض العذراء بعد . ويمكننا تأريخ تلك السوية في النصف الاول من الالف السادسة قبل الميلاد ، ويبدو أن السكن في التل قد انقطع بعد هذا التاريخ حيث أن السوية الاثرية التي تقع فوق سوية العصر الحجري الحديث هي سوية الالف الثالثة قبل الميلاد ، حيث اكتشفت قرائن تدل على افتراض عودة السكن الى تل النبي مند منذ ذلك التاريخ •

وفي سوية أثرية تعلو السوية الآنفة الذكر . اكتشف جدران السور الدفاعي ، ويتألف نظامه من ثلاثة جدران متوازية ، ربطت ببعضها البعض باملاء حصوي ، وقد ارتبطت بالجدار الدفاعي منشأة تقع الى الجنوب منه ، واكتشف فوق أرضيتها جرار محطمة نموذجية معروفة لبداية الالف الثانية قبل الميلاد ، كما عثر على رقيمين مسماريين آكاديين وعلى عدد من أجزاء رقم أخرى . تبين من خلال الدراسة أنهما رسالتين موجهتين الى حاكم قادش « نيقمادا » ابن اتياكاما المعروف

مــن رسائل أرشيف تــل العمارنة ، أرخت في حوالي ١٣٢٠ ق.م ، ولاكتشاف الرقيمين أهمية حيث أنهما يؤكدان ماديا أن قادش هي تل النبي مند .

أما سوية البرونز الحديث « القرن الرابع عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد » . يقول بيتر بار عنها[٥] : « منشآت هذه الفترة تبدو من متانة وضخامة جدرانها ، أنهــا كانت جزءا مــن قصر أو مبنى اداري هام ، دمر حوالي النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أما سوية عصر الحديد « القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد » فقد عثر على غرف ، مدمرة نتيجة حريق ، ربما اندلع بسبب احدى الغزوات الآشورية للمنطقة ، وقد انقطع السكن في الموقع حتى العصر الهيلنستي ، حيث شيدت بعض البيوت الصغيرة فوق ركام سوية عصر الحديد » .

هوامش :

---

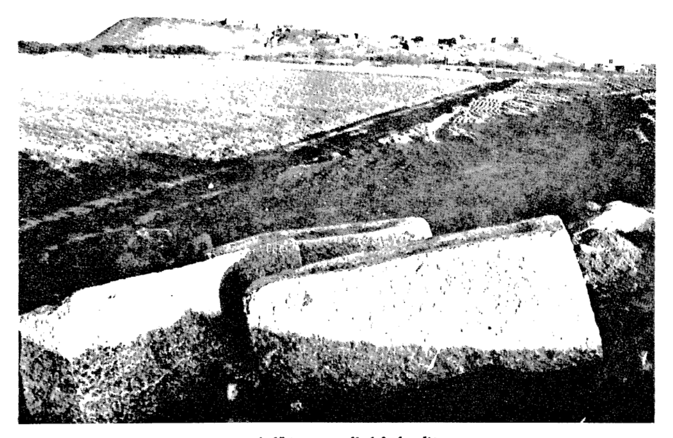
١ ــ ندوة حمص الاثرية والتاريخية (٢٦ ــ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٤) مملكتا قطنة وقادش، للدكتور علي ابو عساف ، ص / ٢٧ / .

٢ ــ المصدر نفسه .

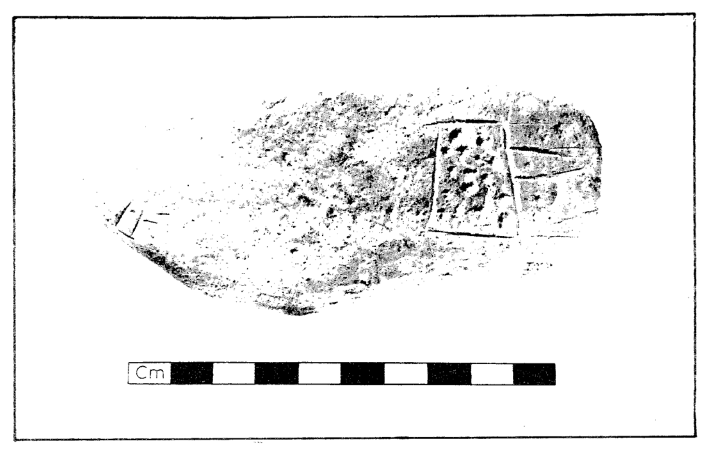
٣ ــ الآثار السورية ، سورية ملتقى الحضارات والشعوب ، دار فور فرتس ، للطباعة ــ فيينا ، ١٩٨٠. معركة بين المصريين والحثيين عند مدينة قادش السورية في عــام ١٢٨٥ ق.م ، بقلم والتر ماير ص / ٣٥٧ / .

٤ ــ مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، المجلد الثالث والثلاثون (الجزء الثاني)، لعام ١٩٨٣ ، ص / ٢٤٦ / .

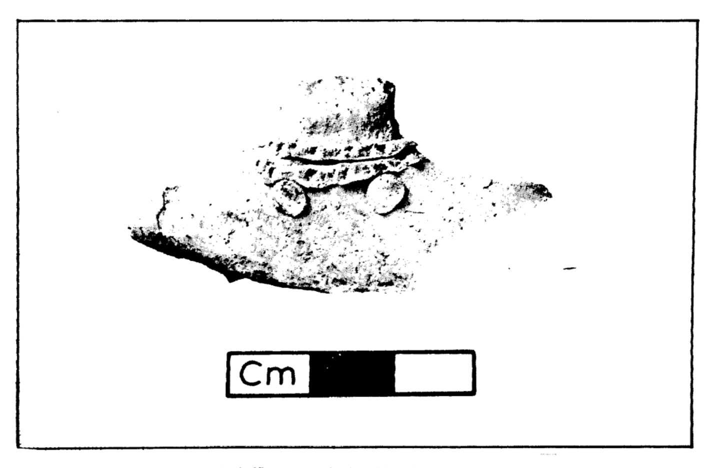
٥ ــ المصدر نفسه : ص / ٢٤٧ / .



منظر عام لتل النبي مند (قادش)



من مكتشفات تل النبي مُند (قادش)



من مكتشفات تل النبي مند (قادش)

رسائل صفوية ؟!

الصفويون اسم أطلقه المستشرقون على قوم من العرب ، نسبة الى أرض بركانية تعرف بالصفاة ، تقع في سورية والاردن ، وهم رعـاة كانوا يتنقلون من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ،وقد دونوا خواطرهم على الحجارة وتركوها في مواضعها ، ومنها استطاع بعض علماء الآثار الالمام بعض الشيء بأحوالهم وأخبارهم ..

يقول الدكتور جواد علي في كتابه « المفصل في تاريخ العرب قبـل الاسلام » : ان قوما تنتشر الكتابة بينهم على هذا النحو ، لا يمكن أن تتصورهم أعرابا على النحو المفهوم من الاعرابية ، بل لابد أن تتصور أنهم كانوا على شيء من الثقافة والادراك .

ويعود الفضل الى تلك الكتابات الصفوية في اعطائنا فكرة عن تلك القبائل المتنقلة ، وفي حصولنا على أسماء بعض تلك القبائل التي كان ينسب اليها أصحاب تلك الكتابات . وقد جمعت من أراض واسعة تمتد من حماه في القطر العربي السوري الى نهر الفرات في الشرق ، والى فلسطين فأعالي الحجاز ، وكلها كتابات شخصية في موضوعات متعددة ليس بينها وثائق تتعرض للمسائل العامة مثل القوانين والحروب .. وقد انحصرت فوائد هذه الكتابات في مسائل لغوية ودينية وتطور الخطوط ودراسة اسماء الاشخاص والقبائل ..

والخط الصفوي ، هو خط ولد من الخط العربي الجنوبي ، وهو قريب من الخط الثمودي ، ومن خلاله استنتج العلماء أن العرب كانوا

يكتبون بما يسمى الخط العربي الاول ، ومنه تفرعت الخطوط العربية المتنوعة ، وتشير الدلائل ان عرب الصفاة لم يتأثروا بكتاباتهم بالآرامية مع قربهم منها واتصالهم بها ، فبقوا مخلصين لقلمهم فكتبوا به ، ويرجع علماء الصفويات عمر أقدم الكتابات الصفوية الى القرن الاول قبل الميلاد ، وآخر ما عثر عليه من كتابات يرجع الى القرن الثالث بعد الميلاد .

ويلاحظ من الكتابات الصفوية المكتشفة أن أصحابها كانوا ينزعون نزعة شديدة الى تخليد أنفسهم وبقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة ، فأرخوا لكل حادث كان معروفا عندهم ، حتى حادث ولادة ما شيتهم أو مقتل أحدهم ، أو فرض غرامة مالية تافهة على أحدهم .

وفي قطرنا العربي السوري اكتشف في مواقع كثيرة ، العديد من النصوص الصفوية ، بعضها محفوظ في متحف دمشق الوطني والبعض الآخر في متحف تدمر ، وقد قام الدكتور علي أبو عساف في السنوات القليلة الماضية بدراسات عديدة حولها توصل من خلالها الى معلومات لها أهميتها بالنسبة الى مفردات الصفوية وديانة الصفويين ..

وقد تميزت ترجمة بعضها بالطرافة كما في اللوح الحجري « ١ » واللوح « ٤ » حيث نقش عليهما نصان قصيران يخبرنا الاول عن عمل تنان بن خلف الذي يرعى بالاجرة ويسأل ربته اللات الغنية ، بينما يخبرنا الثاني عن مقتل المدعو / عذر الله / والاستنجاد باللات للثأر له .

ومن النصوص الطريفة التي ترجمها الدكتور علي ، النص الثاني : « من عزيز بن اسلم بن رهس ، وحزن على أبيه وعلى عوذ خاله ، وعلى

شيع والخرص، وثق بيده، ياذا الشري انتقم من الذي يكسره وينزعه »•
يقصد الحجر الذي دوّن عليه كتاباته ••

وترجم نصا آخر تهدي فيه ثماني نساء صفويات الاشواق الـى شخص واحد يدعى / البا / : من عزي بنت ماسك وتشوقت الى البا•• والى خبات بن ماسك بن يسلم ، من ملكه وتشوقت الى البا ، من خلدو تشوقت الى البا ، من نسألة بنت مغيث وتشوقت الى البا ، من هاجر وتشوقت الى البا » •

والسؤال الذي يبقى بدون جواب مـا السبب الذي دفع هؤلاء النسوة لاهداء أشواقهن الى البا ؟!••

هذه الكتابات أثارت العديد من التساؤلات عن أصل الصمويين ، قد يكون هؤلاء أسلاف الغساسنة في بلاد الشام ، وقد يكونون غيرهم ، هذا ما نرجو أن تكشفه لنا المكتشفات الاثرية القادمة ، في أماكن متعددة من مواقع قطرنا الاثرية •



تمثال رجل من مكتشفات قصر الحير الغربي

٢٢٧م / ١٠٩ هجرية

كتابات بصرى الحجرية

تزداد أهمية « بصرى الشام » يوما بعد يوم ، لما تتمتع به من أهمية تاريخية وأثرية ، نظـرا للاهتمام الزائد الذي توليه الدولة « مشروع تطوير بصرى » بهدف ابراز معالمها وكشفها وترميمها ، وانشاء المرافق العامة ، وتقديم الخدمات ، واشادة المنشآت الكفيلة باستقطاب الزوار والسياح اليها من كافة أصقاع العالم ...

ولا غرابة في ذلك ، فبصرى الشام ، تعود بتاريخها ، كمـا دلت المكتشفات الاثرية الاخيرة الى عصور البرونز « الالف الثاني قبـل الميلاد » ، وجاء ذكرها في كثير من لوحات « تل العمارنة » المكتشفة في مصر ، والتي تعود بتاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وفي عهد العرب الانباط. كانت حاضرة زاهرة تحج اليها القوافل من كافة الاصقاع، وكانت عاصمة لآخر ملوكهم ، وفي العهد الروماني ، شكلت ولاية عربية تضم حوران والجولان وشرقي الاردن ، فاختيرت بصرى لتكون عاصمة لهذه الولاية الوليدة ..

وقـد تميزت خلال عصور ازدهارها ومجدها ، بضخامة منشآتها العمرانية ، وتطور ونشاط الحركة التجارية والاقتصادية والفنية ..

وشواهدها الاثرية الباقية حتى الآن ، تتحدى الزمن .. خير دليل على ذلك ..

روعة بصرى وخلودها الابدي ، جعلت علمـاء الآثار والتاريخ ،

وعشاق الفن والحضارة يتهافتون اليها للاطلاع عليها ، وكشف أسرارها وآثارها ، والقيام بالدراسات والابحاث العديدة عنها ..

فقد أمضى ابنها « سليمان المقداد » جل حياته ينقب ويعمل ويرمم في رحاب عاصمة أجداده ، وقد توج هذه الاعمال بنشر العديد من الابحاث والدراسات العربية والفرنسية عن بصرى أو«تراجانا الجديدة» كما كان يطلق عليها في العهد الروماني .

وقام العديد من العلماء الآثاريين العالميين أمثال: برينوف، وكيرمون، بنشر الدراسات الهامة عن هذه المدينة ، وكان آخرها أبحاث « سولانج اوري » أستاذة الكتابات والآثار الاسلامية في جامعة «اكس بروفانس» في فرنسا ، التي أعدت عن بصرى أطروحة دكتوراه الدولة ، تتعلق بالكتابات العربية المنقوشة على حجارة وأبنية المدينة المكتشفة .

كما قام الاستاذ « موريس سارتر » من جامعة ليون « فرنسا » بمهمات علمية عديدة هدف منها جمع الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية المنقوشة على الحجارة التي تم العثور عليها بين الانقاض ، وفي مباني بصرى الاثرية ، وقد نشرها في مجلد خاص من « مجلة كتابات بصرى » العالمية ، ويذكر الاستاذ « سارتر » في مجلده . أنه تم العثور في بصرى خلال العام « ١٩٧٤ » على « ٢٤ » من النصوص الحجرية الكتابية تضاف الى ما تم العثور عليه من نصوص حجرية في السنوات السابقة . والتي بلغ عددها « ٤٥٠ » نصا . وتتألف الـ « ٢٤ » نصا المكتشفة حديثا من :

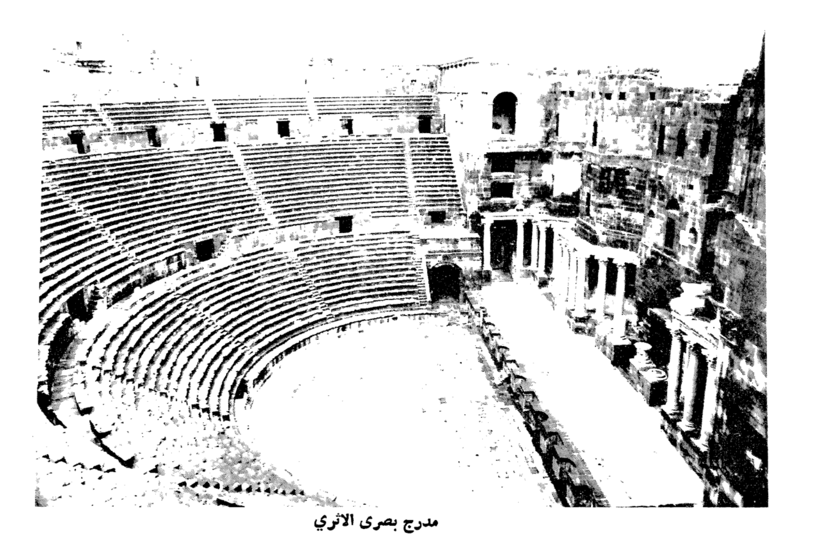
- ثماني كتابات تتعلق بالامور الجنائزية،وقد كتبت باللغة اليونانية.

- خمس كتابات تتعلق بالامور الجنائزية،وقد كتبت باللغة اللاتينية •
- جزء من كتابة تتعلق بالمسافات •
- ثلاث كتابات تتعلق بالامور النذرية •
- كتابة واحدة تتعلق بأميال الطرق •
- كتابة نذرية ، كتبت تكريما للامبراطور الروماني « ايلاغابال » •
- كتابة واحدة نقشت على أرضية لوحة « موزاييك » •
- اربع كتابات مشوهة مختلفة • وتتميز هذه الكتابات بأهمية كبيرة ، فقد أمدتنا بمعلومات هامة عن طريق قياس الطرق والمسافات في العصر الروماني ، كما تتمتع كتابة الموزاييك المكتشفة ، بأهمية خاصة ؛ لانها أول كتابة على الموزاييك تظهر في بصرى ، كذلك تتمتع الكتابة المكرسة للامبراطور « ايلاغابال » وزوجته « جوليا ماميا » بأهمية كبيرة؛ لانها المرة الاولى التي يكرم فيها هذا الامبراطور في مدينة بصرى •

إن اكتشاف هذا النص المتعلق » بايلاغابال « يقودنا الــى تصحيح النظرية التي كانت سائدة في السابق ، والمتعلقة بنص اكتشف في بصرى « النص ضاع الآن » وتتصل بابن هذا الامبراطور الذي كان حاكما للولاية العربية • لقد حدد المؤرخون فترة حكمه في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي •

كما زودتنا الكتابات الجنائزية اليونانية من بين النصوص الـ «٢٤»

الآنفة الذكر بمعلومات هامة عن الاسماء العربية التي كانت دارجة في العهد الروماني ، وخاصة في بصرى ، سيما وأنها تزودنا بأسماء لم تكن معروفة من قبل مثل : فوسياتي ، سولاموس « سليم » ، آلافوس ، آريلاس » . كما يزودنا نص جنائزي آخر باسم جندي من أصل فرنسي وبالذات من منطقة بريتانيا ، كان واحدا من أفراد الفرقة البرقاوية الثالثة المرابطة في بصرى ، وهي الفرقة الرئيسية في بصرى في ذلك العهد .



مدرج بصرى الاثري



شاهدة قبر عليها فتاة واقفة ـ حوران ـ القرن الثاني الميلادي

القيمة التاريخية
لاسماء القرى والمناطق

تطل علينا بين الفينة والفينة ، قرارات صادرة عـن بعض البلديات والادارات المحلية مفادها بـأن بعض القرى والمناطق في قطرنا العربي السوري قد تغيرت أسماؤها ، ووضعت لها أسماء جديدة تناسب المقام والتطور ..

للوهلة الاولى قد يقول قائل ، ومـا الضرر في ذلك ، تلك أسماء قديمة ، أكل الدهر عليها وشرب ، وتحمل مدلولات لا معنى لها ..

كما أن الكثير منها يتضمن معانٍ منافية للحشمة ، والادب وبعضها لا أصل له في قاموس العربية ، والكثير منها يعود الى أصول آكادية ، وبابلية وكنعانية وآرامية وآشورية وسريانية ..

وفي هـذا القول تكمن المشكلة فعندما نغـير بعض أسماء القرى والمناطق ننسى مـع مرور الايام والسنين ، الاسم القديم ، ويرسخ في الذاكرة الاسم الجديد ..

ويبدو أن من يقومون بتغيير أسماء هذه القرى والاماكن لا يدركون أن لهذه الاسماء قيمة تاريخية هامـة ، فهي تعتبر مصـدرا من مصادر التاريخ القديم ، وما تعكسه لنا من النواحي الدينية والثقافية والسياسية لا يقل أهمية عما تنقله الينا المكتشفات الاثرية عن الماضي السحيق . فمن النا حيةالدينية تعرفنا بأسماء الالهة التي كان لها مكانة في مجتمعات تلك الشعوب ، كما في اسم « تل مرديخ » . وقرية مردوخ فهذا الاسم مازال على حاله منذ عهد الآشوريين ويدلنا على اسم الاله الاكبر « مردوخ » .

كما تعكس هذه الاسماء بعض النواحي الاجتماعية التي تتعلق بأخلاق الشعب وعاداته وخصائصه النفسية ، فاذا كان الشعب متدينا ظهر تدينه في الاسماء ، واذا كان مهتما بالناحية العسكرية ظهر اهتمامه من خلال الاسماء التي يطلقها على قراه ومدنه ..

كما يعتبر بعض المؤرخين أسماء هذه القرى والاماكن مصدرا هاما من مصادر التاريخ السياسي ، فالشعوب عندما تفقد استقلالها السياسي، وتنقرض لغتها ، ويندمج المغلوب بالغالب ، لا يبقى من آثار المغلوب الا بقايا في اللغة وفي أسماء المدن والقرى ، التي تظـل شاهدا على تعاقب الشعوب ، وفي قطرنا العربي السوري العديد من أسماء الاماكن التي تعود الى آلاف السنين وما زالت محافظة على اسمها منذ تاريخ انشائها. ويستطيع الآثاري والمؤرخ من خلالها أن يستدل على الكثير من الامور والحقائق التاريخية ، وبالفعل فقد حلت هذه الاسماء الكثير من المعضلات التاريخية ، ولا شك بأن التوسع المستمر في أعمال التنقيب والكشف الاثري سوف يستند في جانب هـام مـن مخططه على أسماء القرى والاماكن .. ، فلقد كان هذا العمل ــ مثلا ــ من الامور الاولية التي اعتمد عليـه البروفيسور باولوماتيه مكتشف ومنقب ايبلا في أعمـال التوسع والتعرف على مملكة ايبلا ، تلـك الحاضرة الزاهرة في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد ، فتعرف على حدود مملكتها الجغرافية التي كانت تمتد من جهة الغرب حتى جبال الساحل السوري ، ومـن جهة الجنوب حتى حدود مدينة حمص ، ومن الشمال حتى جبال طوروس ، ومن الشرق حتى وادي الفرات الشمالي ونهر البليخ ..

توصل الى ذلك من خلال التحقق من بعض الاسماء المذكورة في

النصوص المسمارية المكتشفة مع واقعها على الارض . فوجد أن هنالك أسماء لبعض القرى والمناطق لم تزل موجودة تحمل نفس الاسم منذ ٤٥٠٠ سنة مثل قرية صوران ونابارسيم وغيرها ...

كما أن البحاثة جبرائيل سعادة قد استطاع من خلال مقارنة أسماء القرى والاماكن في محافظة اللاذقية ، أن يتوصل الى اعداد خارطه تاريخيه لمملكة أوغاريت خلال القرن الرابع عشر الميلادي[١] .

فقد ذكرت الوثائق المدونة على الرقم المسمارية المكتشفة في رأس الشمرة ، أسماء ما يقارب مائتي مدينة وقرية كانت تقع في الاراضي الخاضعة لسلطة أوغاريت . والعلماء لا يزالون مهتمين بمعرفة موقع هذه المجموعة السكنية ...

وقد توصل الاستاذ سعادة في بحثه الى أن هنالك مدنا وقرى تحافظ على مر الاجيال على اسمها القديم ، ومن خلال المقارنة لاسماء المدن والقرى الواردة في نصوص رأس الشمرة ، مع أسماء ال ١٢٣٦ قرية وبلدة ما زالت موجودة في المنطقة نفسها ، وجد بعض التشابه بين عدد منها وبين الاسماء القديمة ، مثال ذلك كما في أسماء قرى : خرصبو ، بسنادا ، عين اللبن ، الجنديرية ، قسمين ، كلماخو ، بدميون ، سقوبين وغيرها الكثير ....

والدكتور أنيس فريحة ، قام بعدة أبحاث بهدف دراسة الامكنة والاعلام فتوصل من خلالها الى قيم تاريخية غاية في الاهمية ، استفاد منها في اعطائنا معلومات في الوصف الجغرافي[٢] : فكثير من أسماء الامكنة يدل على العلو مثل : رام الله ، فجذر « روم » سامي مشترك

يفيد العلو ، وكثير منها يعني الهبوط والانخفاض مثل : الغور وكنعان البلاد المنخفضة • ومنها ما يدل على لون مثل : السويداء • ومنها ما يفيد ظاهرة جيولوجية ، مثل البقاع منجذر آرامي يفيد التشقق والتصدع ، فكان البقاع شقا بين جبلين ، ومنها ما يدل على الشمس مثل : مجدل شمس ، مجدل كلمة آرامية معناها البرج وهيليوبوليس • ومعناها مدينة الشمس •••

كما أن هنالك الكثير من الاسماء القديمة التي تدل على أسماء الشخصيات التاريخية الهامة التي لعبت دورا كبيرا في ا لتاريخ مثل : الاسكندرية وانطاكية وغيرها •••

كما تعرفنا بعض هذه الاسماء على أسماء الحيوانات والطيور والنباتات والاشياء وغيرها •••

وحتى ندلل على الاخطاء الجسيمة التي وقعت من جراء تغيير بعض الاسماء ، نذكر أن قرية حبسو في منطقة الدريكيش قد تغير اسمها حديثا الى اسم « الحرية » في حين أن الاسم القديم ورد ذكره في ملحمة الخلق البابلية بمعنى الماء العذب ، وكذلك الامر حدث مع قرية بعمليخ التي سموها الغمامة وشريجس سموها نرجس فأي مدلول ألغوا وأي تاريخ مسحوا ••• وهذا غيض من فيض •

فيا رؤساء البلديات والمناطق وأعضاء الادارات المحلية ، رفقا بأسماء قرانا ومناطقنا التي تحمل الكثير من المعاني والمدلولات والذكريات التاريخية فنحن بحاجة ماسة الى هذه الاسماء لكي تساعدنا

في كتابة تاريخنا وفق منهج علمي مدروس ، ولا نعتقد هنالك ضررا في الابقاء عليها شاهدة على ماضينا الزاهر وحضارتنا الخالدة .

هوامش :

---

١ ـ جبرائيل سعادة ، حدود مملكة اوغاريت ، مجلة الحوليات الاثرية ، المجلدان التاسع والعشرون والثلاثون ، ص / ٦٩ / .

٢ ـ دراسات في التاريخ ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ ص / ٨١ / .



تمثال نصفي برونزي لاميرة بانياس الجولان ـ القرن الثاني الميلادي

الآثار
والإدعاءات الصهيونية

يهدف علم الآثار الى كشف جميع ما شكله أو صنفه الانسان منذ قديم الزمن من مبانوأعمال فنية ووصف هذه الاكتشافاتوتصنيفها ومقارنتها حسب التسلسل الزمني ثم تنسيقها ضمن الاطار التاريخي المناسب والغاية الرئيسية لعالم الآثار هي احياء عناصر التراث القديم واعطاء صورة واضحة عن حياة البشر في العصور السالفة ... ثم تتبع تطور الحضارات القديمة وازدهارها وانحلالها .

لقد أدت التنقيبات الاثرية في الشرق الاوسط خلال مائة العام الاخيرة الى زيادة معلوماتنا التاريخية والفنية عن الحضارات البائدة بشكل عام لم يسبق له مثيل . على أنه لا يزال هنالك كثير من المعضلات التاريخية والحضارية التي تفتقر الى أدلة وبراهين حاسمة وتنتظر نتائج معاول التنقيب الاثري لتزيح الستار وتكشف لنا عن معطيات وحلقات مفقودة في تاريخنا القديم .

وعلم الآثار مثله مثل بقية العلوم استغل لخدمة أغراض سياسية وأهداف استعمارية من قبل الدول الامبريالية الطامعة في شعوب العالم الثالث .

فمن المعروف أن دول الانتداب في منطقتنا الشرق أوسطية عمدت بعد الحرب العالمية الاولى الى تمويل البحوث والتنقيبات الاثرية وصرفت عليها بسخاء لدعم نفوذها السياسي من جهة واضفاء صفة الشرعية على الادعاءات الصهيونية العالمية في حق اليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين عن طريق تحريف الحقائق العلمية المكتشفة وتحويرها .

ولم يقتصر الامر على ذلك اذ أن كثيرا من علماء الآثار الذين تجندهم المخابرات والمؤسسات المشبوهة في تلك الدول يتعمد طمس الادلة والبراهين التي لا تنسجم مع غاياتهم ومآربهم ... وأخطر هؤلاء العلماء هم علماء الآثار التوراتيون الذين تنحصر أهدافهم في تطبيق الروايات والاساطير الواردة في أسفار التوراة على ما يكتشفونه من آثار ولا يلتفتون لشيء سوى البحث عن المواقع التي يظنون أنها هي الاماكن المذكورة في التوراة ..

وينتقون مما يكتشفون من لقى أثرية ما يعتقدون أنه يؤيد وجهة نظرهم ولو أدى ذلك الى اهمال بقية الآثار المكتشفة أو تشويهها أو حتى اخفائها ... وهنالك أكثر من دليل وتقرير يشير أن العديد من البعثات الاثرية التي قامت بالتنقيب في مناطق عديدة من الارض المحتلة ...قد منعت من نشر تقريرها ونتائجها من قبل السلطات الاسرائيلية لانها أدركت أن نشر المعلومات الواردة في هذه التقارير لا يتناسب مع أغراضها الاستيطانية الحاقدة ...

كما أن الصهيونية تحاول نسب أي أثر يكتشف الى شعب الله المختار ؟! حتى ولو كان هذا العمل يحتوي مغالطات تاريخية فاضحة .. ومثال ذلك ما قام به أحد علماء آثار ما قبل التاريخ في مؤتمر عقد في عام ١٩٨١ في فرنسا ...

ونسب بعض الامور المتعلقة بالعصور الحجرية في المنطقة الى « الشعب المختار » علما بأن الفوارق الزمنية بين نصوص العهد القديم وعصور ما قبل التاريخ تقدر بآلاف السنين .

ويعتمد هؤلاء العلماء المسيسين في أغلب معلوماتهم على روايات وأخبار وردت في أسفار التكوين لاعلى حقائق علمية موضوعية ولكن الى أي مدى يمكننا الاعتماد على صحة روايات التوراة من الوجهة التاريخية ؟ ...

يقول الآثاري الهولندي الشهير هانك فرانكن بهذا الصدد « لا يختلف مفهوم الاسرائيلي الخاطىء للقضايا العربيه وحقوق عرب فلسطين في عصرنا الحاضر عنه في الزمن القديم » .

ومن هذا النهج المغلوط حاولت الصهيونية العالمية استغلال مكتشفات ايبلا « تل مرديخ » عن طريق نشر تفسيرات مغلوطة قام بها الكاهن السابق « جيوفاني بتيناتو » للرقم المسمارية المكتشفة .. وقد استغل السيد بتيناتو ومن هم في تياره المغرض كون الكتابة المسمارية تحتمل تأويلات عديدة وتفسيرات مختلفة عند الترجمة يقول روبرت بيغس بهذا الصدد « ان اللغة الايبلائية تحتوي العديد من الاشارات الرمزية وهذا يعني ان الكلمات المقصودة لا يمكن التعرف عليها الا من مقابلها في اللغة السومرية ولا ندري ما هي اللغة الايبلائية .. ثم أن الادوات التي تربط الكلمات بعضها لتشكل الجمل قد لا تكون موجودة اطلاقا ان معظم الاشارات المسمارية لها أكثر من قراءةمقطعية واحدة » .

وقد استغل بتيناتو هذه الناحية من اللغة المسمارية وقام بتفسير العديد من نصوص ايبلا على هواه تحقيقا للغاية التي أرادها والتي سخرته الصهيونية من أجلها ..

وقامت صحف الغرب التي تسيطر عليها الصهيونية أيضا بنشر واثارة ضجة اعلامية كبرى هدفت الى القول : ان اللغة الايبلائية قريبة من العبرية .. ونصوص ايبلا تحتوي العديد من الاسماء العبرية الهامة والمدن التوراتية الواردة ذكرها في التوراة ...

وعليه فان العبرانيين أصلهم من ايبلا في شمالي سورية .

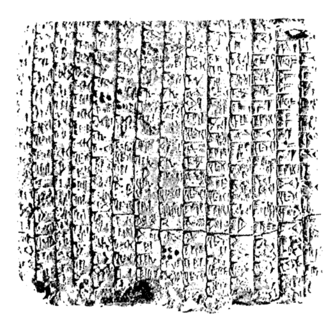
وقامت هذه الصحف الغربية الصهيونية تتهم سورية بأنها تقوم بحجب رقم ايبلا المسمارية عن العلماء .. ولا تسمح بنشر ما جاء فيها وكان رد القطر أن شكل لجنة دولية متخصصة في مجال اللغات المسمارية القديمة وقد أنيطت بهذه اللجنة مهمة دراسة هذه الرقم البالغ عددها حوالي ١٧ ألف رقيم مسماري ونشر كل ما يترجم منها في حينه .. وتوزيعه على الاوساط العلمية العالمية للاطلاع على محتواها ومضمونها..

وفعلا بدأت الاوساط العلمية تقطف ثمار هذا العمل الجدي .. فقد صدرت مجلة دراسات ايبلائية منذ عام ١٩٧٩ وفند العديد من علماء اللجنة الدولية بالبيان وبالحجة واليقين مغالطات « جيوفاني بتينانو » وسوء تفسيره الاشارات السومرية المتعلقة بأسماء مدن وملوك ايبلا ...

وكان هذا أفضل رد على ادعاءات الصهيونية وأبواقها العالميه المغرضة ...

علما بأن الجزء الذي تمت ترجمته من الرقم المسمارية ما زال قليل جدا . وان الانتهاء من هذه المهمة الصعبة لا زال بعيد المنال ..

ولا شك أن السنوات القادمة سوف تأتينا بنتائج عظيمة تثبت عمق وأصالة جذور حضارتنا منذ أقدم الازمنة والعصور .





رقم ايبلا ، حاولت الصهيونية ترجمتها لخدمة اغراضها الاستيطانية

نوادر وحكايات طريفة
من المواقع الأثرية

أعمال التنقيب الاثري فيها قدر كبير من المتاعب والمشقة ولكنها في الوقت نفسه ملأى بالمتع والمباهج والحوادث الطريفة ففي حياتنا « كآثاريين » الكثير من الامور التي يمتزج فيها الفرح والدهشة والخيال والسعادة الغامرة التي يداخلها حس الانتصار والطرافة الحلوة .

ومن المؤسف أن هذا الجانب الطريف من عملنا الاثري لم يسجله أحد ، رغم متعته واحتوائه على كثير من الجوانب الفكرية والعادات والتقاليد والمفارقات المضحكة وحتى أثبت ما ذهبت اليه من قول دعوني أحدثكم عما حدث ويحدث معنا في الحقل الاثري .

● في عام ١٩٨٢ أنيطت بي مهمة تمثيل القطر العربي السوري لدى البعثة الاثرية الهولندية العاملة في تل « حمام التركمان » وفي أحد الايام حدثني أحد سكان القرية المجاورة للتل عن وجود « ختم اسطواني » فوق صدر امرأة عجوز فذهبت اليها لاتحقق من ذلك وعندما تأكدت من هويته الاثرية عرضت عليها بيعه لنا فقالت : هذا مستحيل لو أعطيتني مال الدنيا لن أفعل ذلك انني أضعه فوق صدري منذ أربعين عاما وقد حفظني وحفظ أولادي طيلة هذه المدة من كل الاخطار والامراض انه « حرزي » وبعد مداخلات ووسائط عديدة سمحت لنا بالتقاط بعض الصور « الفوتوغرافية » له !!

ومن الطريف ، في كل موسم أثري أن يتجمع الناس حولنا ويتصوروا أن كل عمل أثري نقوم به سوف ينتج عنه اكتشاف الذهب والكنوز

الثمينة وهم لا يعرفون أن أي رقيم أثري أو جدار بناء أو اناء فخاري أو منحوتة تساوي عندنا أكثر من الذهب والكنوز • زميلنا الدكتور سلطا نمحيسن • حدث معه في هذا المجال أكثر من طرفة :

● « كنت أنقب في حوض العاصي « موقع الغرماشي » وكالعادة زارنا مختار القرية الشيخ مصطفى وسألني بعد نظرة تفحصية ماذا تفعلون هنا ؟ قلت له : في هذا الموقع، الدلائل الاثرية تشير الى وجود معسكر قديم للانسان يعود تاريخه الى ٢٠٠ ألف سنة ولم يبق من مخلفات هدا المعسكر سوى هذه الادوات الصوانية ، التي تشاهدها ونحن نقوم حاليا بجمعها تمهيدا للقيام بدراستها •

فسأل : ألا تقومون بالبحث عن الذهب والبترول ؟ قلت : لا فتركنا وتنحى ببعض العمال وقال لهم ان مديركم اما مجنون واما كذاب على كل حال « سايروه » وخذوا منه « كام ليرة » والله يعطيكم العافية»!

ويتابع الدكتور سلطان حديثه « في عام ١٩٧٦ كنت في حوض النهر الكبير الشمالي « منطقة روضو » وقد تمخضت أعمالنا الاثرية عن اكتشاف الكثير من الحجارة الصوانية التي تطلب منا نقلها وحملها على ظهور الحمير وعندما شاهدنا الاهالي قالوا لنا بسخرية واضحة هذا الصوان ماذا ستفعلون به ؟! قلت سنأخذه الى دمشق وننشر عنه دراسة تاريخية !

فضحكوا وعند ذلك مازحتهم قائلا : وسوف نقوم بطحنه لاستخراج دواء يعيد الشباب والحيوية الى الانسان وعندما علموا بدلك انقلب الموقف وساعدونا في عملنا وودعونا بكل « احترام وتقدير » •.

● أما الدكتور علي أبو عساف فأحاديثه في هذا المجال لا تنتهي « في كل عمل أثري نقوم بجمع الكسر الفخارية التي نعثر عليها بين الانقاض ثم نغسلها وتتفحصها ونأخذ منها نماذج للدراسة ونطرح الباقي ومرات عديدة نسأل عن الفائدة المرجوة من هـذا العمل ؟ فنجيب « للدراسة فلا يصدقون !!

أو بالاحرى يسخرون ـ اذ كيف تكون كسرة فخارية موضوع دراسة ولكن عندما نخبرهم مازحين : اننا نطحن هذه الكسرة لنستخرج منها الذهب يصدقوننا أكثر ؟!

● في عام ١٩٨١ أسفرت أعمال التنقيب الاثري في موقع عين دارا عن اكتشاف آثار اقدام كبيرة منحوتة بشكل جميل على عتبة المعبد الكبير كاشارة للمصلين بوجوب خلع أحذيتهم قبل الدخول الى المعبد والشيء الطريف أن أهالي المنطقة لم يصدقوا هذه المقولة بل قالوا : ان ساكني المنطقة القدماء كانوا من العمالقة وهذه آثار أقدامهم !

● وفي احدى جولاتنا الاثرية في منطقة الجزيرة السورية قرب رأس العين قمنا بزيارة تل أثري يدعى « تل قليع » بهدف التعرف على معالمه وهويته الاثرية فجمعنا بعض القطع الفخارية والصوانية والحجرية وأثناء ذلك تجمع حولنا بعض الصبية من القرية المجاورة : فتعجبوا من عملنا وسألهم أهلهم عما نفعل على سطح التل فأجابوا: انهم يجمعون «القورة» ـ الفخار والحجارة والصوان وعندما سئلوا عما نفعل بها ؟! قالوا : لا بد أنهم يحتاجونها للعب !!

● أما الدكتور عدنان البني فله في هذا المجال صولة وجولة دعونا نسمع منه بعض الطرائف التي حدثت معه :

● في عام ١٩٥٥ الوقت صيفا والحر لاهبا والتراب ينهال علينا في أعماق الحفرة التي كانت قبرا وكان ثلاثة على سلم ضخم يصل ما بين قاع المدفن وقمة الحفرة ..

زميلي وزنه أكثر من « كنتال » يتأثر بالحر كثيرا ولكنه رسام بارع! ومهووس بالمكتشفات الاثرية ويحب أن يكون قريبا من الهيكل المسجى ويضع أصابعه دوما في المواضع الحساسة بحثا عن الاقراط والاساور والخلاخيل وكنت في أعلى السلم أشرف على العملية واستلم القطع المستخرجة واضعها في العلب بعد وصف موجز ..

في تلك اللحظة يسألني أحد العمال : يا معلمي هل لديك «سرتفيكا» أي الابتدائية !؟ فقلت له نعم والحمد لله فقال باستهجان : ولماذا اذن اخترت هذه الصنعة القذرة ؟! أنا أخي يحمل مثلك « السرتفيكا » وهو يعمل « عريفا فخريا » بالجيش ! عند ذلك قال له رفيقي صاحب الوزن « الكنتالي » يا غبي ان معلمك يحمل ما يعادل سبع « سرتفيكات » فقال العامل : لا شك أنه مجنون حتى يختار مثل هذا العمل الوضيع !!

● في أواخر الخمسينات كنا نعمل في منطقة أثرية تقع تحت سيطرة الاقطاع وقد عانينا الكثير معهم حتى استطعنا بدء العمل ضمن شروط صعبة تبدأ من تدخل رجالات البيك في الشاردة والواردة وعدد العمال وفترة عملهم وضرورة اطلاعهم على الآثار التي سوف تكتشف ومع ذلك قبلنا هذه الشروط وسارت الامور على هذه الوتيرة حتى أتاني الافندي قائلا : لدي مرشح للعمل قلنا أهلا وسهلا :

على الرحب والسعة قال : هو لا يعمل الا « شاويشا » هذا شرط ؟!
قلنا وهل يعرف امور ادارة ورشة التنقيب وأهمية الآثار ؟!

قال : لا انما هو خبير في شي الدجاج وله باع طويل في ذلك !!

● كنت أعمل في مشروع واسع بتدمر وفي زحمة العمل جاءتني برقية تطلب حسن استقبال سيدة أمريكية تقوم بدراسة عن تدمر وعند وصولها استقبلناها وقدمنا لها المعلومات اللازمة ويبدو أنها لا تعرف شمس الشرق ومفعولها ولهيبها في عز الصيف ..

فأثرت عليها وفي اليوم الثاني اتضح لنا أنها مهووسة يتهيأ لها أشياء كثيرة فجاءتني ووجهت الي عدة اتهامات مثل انني كنت السبب في موت الملكة زنوبيا وخراب مدينة تدمر وأصبح شكلها مخيفا وعندما عدت الى دمشق وجدتها أمام باب مكتبي تنتظرني وعندما شاهدتني نظرت الي بعينين ملأى بالحقد والغضب حتى خشيت أن أكون فعلا من قتل زنوبيا ودمر تدمر !!

والاستاذ نسيب صليبي له حكاياته الطريفة في هذا المجال :

● في الخمسينات من هذا القرن كنت أنقب في موقع عباسي في منطقة الرقة زارني أحد المسؤولين فشرحت له الاجزاء المكتشفة من القصر العباسي المكتشف مشيرا الى الاقسام التي كانت تسكنها حرم الامير والاقسام المتعلقة بضيافة رواد القصر والاقسام الرئيسية التي كان يجتمع فيها بزائريه وكانت احدى قاعات هذا القسم مبلطة بالزجاج المتهدم وحدثته عن الحدائق الداخلية التي كانت موجودة وعند الانتهاء

قال لي : لقد وضعت في مخيلتي روائع البناء حتى كدت أن أشم رائحة الزهور ولكني أرى نفسي أسير ضمن تراب غطى قدمي فكيف ترون هذه الاشياء التي حدثتني عنها ؟! قلت نحن «جماعة الآثار» نعيد الاشياء الى ما كانت عليه ! وضربت له المثل التالي سئل الجمل : كيف تأكل الشوك ؟ ألا يدمي لسانك ؟ فأجاب : عندما آكل الشوك أتذكره يوم كان أخضر ؟!

● أثناء العمل في الكشف عن القصور العباسية في محافظة الرقة كان يمر الناس بنا ويستغربون من أعمالنا وحدث أن سألني احدهم ماذا تعملون هنا ؟!

قلت : اننا ننقب عن آثار الاجداد فقال : وهل تجدون ذهبا ؟ قلت : لا قال : اذا ماذا تجدون قلت كسرا فخارية ومبان هامة قال : الافضل لكم أن تعطونا هذه الاموال التي تنفقونها لشراء زوجات لنا ؟!

● زميلنا الدكتور سلطان محيسن عندما زاره والده في مقر عمله وشاهده يقوم بترقيم الحجارة الصوانية خرج من مكتبه حزينا جدا وقال له : أرسلناك الى أوروبا لتتعلم وتدرس ولتحصل على شـــهادة دكتوراه « قد الدنيا » فتعود الى القطر وتقوم بالكتابة على الحجارة الصوانية ؟!

وبعـــد :

ألستم معي بأن مهنة الآثار بالاضافة الى كونها مهنة المتاعب هي مهنة النوادر والحكايات الطريفة ؟!

الفهرس

٢٠٠٠ ط١/٨/١٩٨٦

الطبع وفرز الالوان مطابع وزارة الثقافة
دمشق – ١٩٨٦

سعر النسخة
ل.س.ل



